

روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
24
Looloo
www.dvd4arab.com
أوراق مجهول
قصة فرنسية

الفصل الأول

أشياء حدثت



كان اسمى (سامى محمود) ...

كنت ضابط شرطة ومتزوجًا من امرأة عادية ، أحيا معها حياة مملة ، والأيام تمر بى مر الكرام ، دون أن أضيف لها شيئًا أو أن تضيف هى إلىّ شيئًا ..

كنت كذلك حتى قمت ذات ليلة بزيارة صديقى الدكتور (مجدى) الطبيب النفسى ، أنا وصديقنا المشترك (على) ، رجل الأعمال الناجح ، حين قرر (مجدى) أن يجرى علينا تجربة تنويم مغناطيسية حمقاء ، فوافقت أنا و(على) على أساس أن الفكرة سخيفة إلى الحد الكافى ، الذى يثبت أنها لن تسبب أى ضرر .. هذا ما ظننته حينها !

بالطبع نمنا بعد أن حقننا (مجدى) بمهدئ خفيف ، وطلب منا أن نحدق فى شاشة كمبيوتر ، وحين استيقظت مجددًا ، كان الوضع قد اختلف كثيرًا ..

كنت أقف فى قسم الشرطة الذى أعمل فيه ، وأنا أمسك ببندقية أسددها إلى بعض الرهائن ، وفى الغرفة بجوارى كانت جثث ضحاياى تنتظرنى !!

نعم أيها السادة ، لقد استيقظت لأجد نفسى قاتلاً ومحتجز رهائن ، والأدهى من هذا أن هناك أسبوعًا كاملاً قد مرّ علىّ منذ أن نوّمنا ـ الوغد ـ (مجدى) فى عيادته ، دون أن أذكر عن هذا الأسبوع شيئًا ..

وبعد هروبى من القسم فى هذه الليلة ، كان علىّ أن أبدأ رحلة بحث شاقة وعنيفة لأعرف ما الذى فعلته .. وهاك ما عرفته ..

لقد طلقت زوجتى .. لقد تركت عملى .. لقد قتلت صحفيًا وزوجته وطفليه .. لقد دمرت حياتى دون أن أفهم حتى لماذا ؟!!

ثم ظهرت (مايا) فى الأحداث ..

(مايا) كانت ممرضة الدكتور (مجدى) وكانت تليق بأن تكون مريضة عنده ، لكنها كانت من ذلك الطراز من الأشخاص الذين يملكون حضورًا وتأثيرًا ، قد يغيران مسار أحداث أى قصة .. وهذا ما فعلته هى دون تقصير ..

لقد أجرى (مجدى) عليها تجربته هى أيضًا ، وكانت تملك أول الخيط للبحث عنه ، متمثل فى بطاقة صغيرة ، ووزير سابق ، وقاتل يسعى خلفنا ...

وكان هذا القاتل هو صديقنا المشترك (على) بعدما أجرى (مجدى) عليه تجارب من نوع مختلف ..

أذكر أننى فعلت الكثير والكثير فى هذه القصة ..

لقد قتلت (عليًا) دون أن أعرف أنه هو ، وواجهت (مدحت) زميلى فى العمل ، وكدت أقتله هو الآخر لأهرب منه ، واستطعت الحصول على خيط جديد من كمبيوتر (مجدى) فى عيادته ، إذ عثرت على البرنامج الذى استخدمه معى أنا و(على) ، وقررت (مايا) أن تخضع للبرنامج مرة أخرى ؛ لتعرف هى الأخرى ما الذى فعلته ، بعد ما أجرى عليها (مجدى) تجربته فى الماضى ..

ونفذت التجربة عليها ، واستعادت هى ذلك الجزء المظلم من ذاكرتها ؛ لتقودنى إلى مقر (مجدى) ، حيث كانت المواجهة الأخيرة ..

وهناك توالت المفاجآت على نحو غير مسبوق .. (مجدى) جزء من منظمة جديدة تسعى لتحطيم الأنظمة ونشر الفوضى ، ولقد قام بإعادة برمجة عقول الكثيرين ليجمعوا له كمًا غير محدود من المعلومات ..

معلومات عن كل شىء وأى شىء ..

وكل من يعملون لجمع هذه المعلومات لا يعرفون أى شىء عمّا يفعلونه .. مجرد إرهاق بسيط فى الصباح حين يستيقظون ، وسيظنون أنهم لم يحظوا بالقدر الكافى من النوم ..

وأنا و(على) كنّا جزءًا من هذا الكيان ، بعد أن عبث (مجدى) بعقولنا ، مطلقًا ما أسماه بالنصف المظلم ، داخل كل إنسان .. ذلك الجزء الذى يحمل كل شرورنا ، والذى لو أطلق سراحه ، قد يتحول أى واحد منا إلى كابوس حقيقى .. لكنه استغلنى أنا و(على) ، فى مهام من نوع مختلف لم نعرف عنها أى شىء حتى الآن ، انتهت بإفاقتى من التجربة ، وبموت (على) على يدى بعد أن كاد يقتلنى أنا و(مايا) ..

(مايا) التى اكتشفت أن دورها كان أسوأ من هذا كله بكثير ..

كانت شريكته ـ غير الواعية ـ فى هذا المخطط العجيب ..

المهم .. انتهت الليلة ، بموت (مايا) بين ذراعى بعد أن فشلت فى تحقيق أمنيتها الوحيدة التى طلبتها منى ، وهى ألا أتركهم يقتلوها ، وهرب (مجدى) ، وأصبت أنا إصابة بالغة استيقظت بعدها لأعرف أن حياتى القديمة قد انتهت إلى الأبد ..

صحيح أننى قتلت تحت تأثير التنويم المغناطيسى وبتجربة (مجدى) الرهيبة ، لكن ما خسرته لم يعد من الممكن تعويضه ؛ لذا عرضوا علىّ تلك الصفقة ..

أن أذهب إلى (فرنسا) ـ المكان الذى يظنون أن (مجدى) قد هرب إليه ـ لأعمل فى سفارة مصر هناك ، كمسئول للأمن ، بهوية جديدة ودون أن يعرف أحد عن ماضىّ شيئًا ..

وبالطبع وافقت .. كأننى كنت أملك الخيار ..

لكن هذا ليس كل ما حدث .. هناك المزيد ..

* * *

اسمى الجديد هو (أكرم رشوان) .. وهو اسم سخيف ذو رنة قصصية مميزة ، لكنه لم يكن اختيارى على كل حال .. يبدو أن المخابرات هى الجهة المسئولة عن نقلى إلى هنا .. من غيرهم يستخدم مثل هذه الأسماء ؟!

لقد انتقلت إلى السفارة المصرية فى فرنسا ، منذ شهرين لتنتهى حياتى فى مصر إلى الأبد ، ولم آسف كثيرًا لهذا ، فلا يوجد من سيفتقدنى على كل حال ..

لقد طلقت زوجتى حين كنت تحت تأثير تجربة (مجدى)

ـ وهو الجميل الوحيد الذى أسداه لى فى الواقع ـ ووالداى متوفيان منذ زمن ، ولا يوجد من لديه استعداد لصداقة قاتل ، أصبح لا يملك كل ذكرياته .. لكن عملية الانتقال ذاتها لم تكن بهذه البساطة ..

هناك الإجراءات القانونية ، وعملية صناعة ماضٍ منمق لهذا الـ (أكرم رشوان) ، ثم جاء دور تعلم اللغة الفرنسية ، وهى لم تكن عملية صعبة .. فى الواقع لم تكن مشكلة تعلم أى شىء جديد صعبة بالنسبة لى ..

لقد أطلقت تجربة (مجدى) طاقات جديدة فى عقلى وجسدى ، لا أعتقد أننى سأتعرف عليها كلها فى وقت قصير ، لكن هاك ما اكتشفته حتى الآن ..

لقد أصبحت خارق الفهم ، أستطيع تعلم لغة مثل الفرنسية وإلى درجة الإتقان فى شهر واحد فقط ، وأصبحت قدرتى على التركيز مبهرة ، حتى إننى أستطيع القيام بخمس أعمال فى الوقت ذاته ، والجزء الممتع فى الموضوع هو أن جسدى أصبح أكثر قوة ومرونة ، وكأننى أعرف مكان كل عضلة فى جسمى وأجيد السيطرة عليها تمامًا ، لكن لم تأت أى فرصة لتجربة هذه القدرات فى مواجهة مباشرة حتى الآن .. لكنها ستأتى حتمًا ..

فهذا هو سبب إرسالى إلى فرنسا فى المقام الأول .. البحث عن (مجدى) ..

لسبب ما يعتقدون أنه جاء إلى فرنسا ، لكنهم لم يخبرونى بالتفاصيل كلها .. وعلى الرغم من أنهم قاموا باستجوابى وإخضاعى لكل أنواع تجارب التنويم المغناطيسى ـ ومنها تجربة (مجدى) ذاته بعد أن حصلوا على برنامجه ـ إلا أنهم لم يحصلوا منى على شىء مفيد عن الفترة التى قضيتها مع (مجدى) حين كنت تحت تأثير تجربته ، التى انتهت بكارثة قسم الشرطة ..

سيظل هذا الأسبوع من حياتى مجهولاً إلى الأبد ..

لكن لا بأس .. سأبحث عنه كل ليلة وكل لحظة ومع كل نفس يتردد فى صدرى ..

الانتقام هو الدافع الوحيد الذى يحركنى ، وإن لم يكن من أجلى ، أو من أجل ضحاياى ، فليكن من أجلها هى ..

(مايا) ..

لكم أفتقدها .. ولكم أحتاج إليها الآن ..

لا .. لم يكن حبًا أفلاطونيًا ، لكنها كانت ـ وفى أخطر مراحل حياتى ـ أقرب الناس إلىّ ، وأكثر من احتاج لمساعدتى دون أن أستطيع أن أقدم لها شيئًا ..

لكن هذا أيضًا ليس كل شىء ، فباريس مكان جميل لتحيا فيه ، وقادر على إلهائك عن ذاتك نفسها ، لولا بضعة أشياء حدثت ، لم تكن فى الحسبان ..

نعم .. هناك المزيد من الأشياء التى حدثت ، لكن دعنى أعرفك على حياتى فى بلد النور والجمال كما يسمونها ..

★ ★ ★



عملى فى السفارة هو الهراء ذاته ..

كل المطلوب منى هو أن أقف فى عدة أماكن وفق جدول زمنى رتيب ، والتدخل فى حالات الطوارئ التى لم تأت حتى الآن .. ولن تأتى إلا لو قررت أنا تفجير نفسى قتلاً للوقت !! التغير الوحيد الذى كنت أحصل عليه ، كان يحدث حين أرافق السفير المصرى (صلاح الغريب) فى زياراته الخارجية لبعض المسئولين ، ولعقد بعض الاتفاقيات ، وكل هذه الأمور الرسمية التى لا أحسب أن أحدًا سيهتم بفهمها ..

السيد (صلاح) كان يعرف قصتى بالطبع ، مما ولد نوعًا من الألفة بيننا ، أضف إلى هذا أن الرجل لم يتزوج قط ، وبالتالى لا أبناء له ، ويبدو أنه استراح لفكرة أن ينصب نفسه والدًا لى ، يقربنى منه بلا تحفظ ، وينظر إلىّ بنظرته الأبوية ، وهو يسألنى عن أحوالى كل ليلة حين تجمعنا استراحة السفارة ..

صحيح أننى كنت أفضل أن أحتفظ بوحدتى المقدسة ، لكن هذا الرجل يستحق استثناءً خاصًا به ، فهو ممتع طالما لا يحمل هموم العمل على كتفيه ، ولا يتأخر فى مد يد العون إلىّ إن احتجت إليه ..

لم يكن لى احتكاك بباقى موظفى السفارة ، وكان قربى من السفير ، يجعلهم يظنون أننى أتكبر عليهم ، مما دفعهم لتجنبى هم أيضًا ، وهكذا تحققت لى الصفقة التى كنت أريدها ..

العمل يستمر منذ الساعات الأولى للصباح ، وينتهى فى الثامنة مساءً ، بعدها يمكننى أن أتجول فى باريس ما شئت ، والمدينة - والحق يقال - جنة حقيقية فى الليل ..

لست من هواة الجمال والمتاحف والمناطق الأثرية ، بل إننى حتى لم أفكر فى زيارة المتحف المصرى ، حين كنت فى مصر ولو لمرة واحدة ، لكن باريس مدينة جميلة حقًا ..

ثمة سحر تمتلكه بعض المدن .. شىء فى الهواء ذاته .. شىء لا يمكن وصفه ..

لكنه شىء قادر على مساعدتك على نسيان همومك ولو لفترة ، وأنا لم أجد هذا الشىء إلا فى الإسكندرية وهنا فى باريس ..

لكن الحياة لا تكتمل بدون منغص ، وكان هذا المنغص امرأة اسمها (لارا) ..

* * *

(لارا) هى طبيبتى النفسية ، التى اختاروها لتواصل رحلة انتزاع المعلومات من رأسى ، وهى طبيبة نفسية خبيرة ، حائزة على شهادات دولية تثبت أنها تفهم ما الذى تقوله بالضبط ، حتى لو بدا ما تقوله مجنونًا غير منطقيًا لغير المتخصصين ..

(لارا) لها مهمة واحدة مدفوعة الأجر ، وهى أن تحيل حياتى إلى جحيم !!

مرتان فى الأسبوع أذهب إليها ؛ لتبدأ هى فى جلساتها

النفسية ، التى لا تكف فيها عن ترديد جملة (أرجوك تذكر .. أنت تعرف ما حدث ، لكن عقلك يعرف أنك خائف من معرفة الحقيقة) .. وفى كل مرة أذهب إليها ، نصل إلى ذات النتيجة .. لا شىء !

أنا لا أذكر شيئًا عن الأسبوع الذى قضيته مع (مجدى) ، ولست خائفًا من معرفة ما حدث ـ لا يوجد ما هو أسوأ مما أعرفه حتى الآن ـ لكن لا يوجد شىء فى ذاكرتى عن هذه الفترة .. هناك ثقب أسود كما تسميه (لارا) ، يلتهم هذا الجزء من ذكرياتى ..

واليوم أنا ذاهب إليها ، لنحاول للمرة الألف ، اقتحام هذا الثقب والعودة منه سالمين ..

* * *

أنهيت عملى فى السفارة فى تمام السابعة ، لأرتدى معطفى الجلدى الأسود ، ثم اتجهت إلى شوارع باريس الباردة الفاتنة ، متجهًا إلى عيادة (لارا) ..

بصورة أو بأخرى أستطيع أن أزعم أن ما حدث لى لم يكن السوء المطلق ، وأنه كان يحمل بعض النقاط الإيجابية .. فلولا ما حدث ، لكنت الآن ما زلت متزوجًا ، أعود من عملى فى القسم مع ثلة الأوغاد ، وأبحث الآن عن ثغر لأوقف فيه سيارتى .. أما الآن فأنا فى شوارع باريس التى لا تتوقف فيها الحياة لحظة ، أمامى بضع ساعات من السخف ، وبعد هذا الليل لى أفعل فيه ما يحلو لى ..

استغرق منى الطريق نصف ساعة من السير ، حتى وصلت للبناية التى تحوى عيادة الدكتورة (لارا) ، وانتظرت حتى قاربت الساعة الثامنة إلا ربع ، قبل أن أبدأ فى صعود الدرج ..

الفرنسيون ليسوا قومًا ودودين إلى هذه الدرجة التى يظهرون بها فى الأفلام ، ولا يطيقون من يأتى قبل ميعاده ولو بدقيقة ، ويعتبرون هذا نوعًا من قلة الذوق .. لذا كان علىّ الانتظار فى الممر أمام عيادة الدكتورة (لارا) حتى دقت الساعة تمام الثامنة لأدخل إلى عيادتها .. و.. وأنتم

تعرفون أننى أهوى منح النصائح المجانية ، لذا هاكم نصيحة مجانية أخرى ..

أى شىء تراه فى الأفلام الفرنسية هو محض هراء .. فالنساء فى فرنسا لسن بهذه الفتنة التى يظهرون بها على شاشات السينما ، إلا لو كانوا قد انتقوا لى الدكتورة (لارا) خصيصًا من وسط كل النساء فى فرنسا ..

بدينة هى (لارا) ، تلك البدانة التى تجعلك تخشى أن تصطدم بك وهى تحرك محيط جسدها الهائل ، وإلا سحقتك تمامًا .. وهى تحمل على رأسها شعرًا أسود منكوشًا ، وترتدى منظارًا طبيًا صغيرًا جدًا ، من باب الأناقة ، تبدو عيناها من خلفه تحدقان فيك ، بثبات يجمد الدم فى عروقك ، والمفروض مع هذا كله أن تشعر أمامها بالأمان إلى الحد الكافى ؛ لتمارس هى مهنتها كطبيبة نفسية !!

المفروض أن أجلس أمام هذه المخلوقة ، مرتين فى الأسبوع ، لأتذكر ما الذى فعلته مع (مجدى) ، لكن ما يحدث كل مرة هو أننى لا أتذكر سوى أهوال الحرب العالمية الثانية ، وبعض الكوارث الطبيعية الأخرى التى يتعذب فيها الضحايا قبل أن يموتوا ميتة شنيعة ..

دخلت عليها فابتسمت هى ابتسامتها الروتينية التى تمنحها للجميع بلا مقابل ، وأشارت إلىّ بالجلوس ، قائلة :

ـ مسيو (أكرم) .. أم تفضل أن أناديك مسيو (سامى) ..

ـ مسيو (أكرم) من فضلك ، فلم أعد أمتّ لـ (سامى) بصلة ..

ـ خطأ .. مهمتنا هنا أن نتذكر ما الذى فعلته حين كنت (سامى) .. لا تنس هذا ..

ـ لنبدأ إذن ..

تبعتها إلى الشيزلونج المعتاد ، وشغلت هى بعض الموسيقى الفرنسية التى تقطر عذوبة ، ثم قربت وجهها من وجهى ، لتلفحنى بأنفاسها المفعمة برائحة الكحول ، قائلة :

ـ حاول أن تسترخى .. أغمض عينك ، وأطرد جميع الأفكار من رأسك ..

أغمضت عينى ، حتى لا أنفجر فى البكاء ، وواصلت هى :

ـ والآن حاول أن تعد بذاكرتك إلى الوراء .. أن تتذكر .. أنت (سامى) وها هو مسيو (مجدى) يقف معك .. هل ترى أين تقفان ؟!

ـ فى جهنم !

ـ عظيم .. ركّز أكثر وستتمكن من وصف جهنم هذه لنا .. هذا هو المطلوب ..

ـ أنا فى أقصى درجات تركيزى ..

ـ حاول أكثر ..

والحقيقة هى أننى كنت أحاول حقًّا .. كنت أعصر رأسى بحثًا عن أى ذكرى تمت للأسبوع الذى قضيته مع (مجدى) بصلة .. لكنى كنت عاجزًا تمامًا عن الحصول على طرف أى خيط .. أقصى ما أستطيع الوصول إليه هو أن أراه يقف أمامى مبتسمًا بانتصار ، وهو يرتدى معطفه الطبى الأبيض ، والخلفية من خلفه ومن حوله بيضاء تمامًا ..

وكانت هذه الصورة تصيبنى بالغضب الكافى لأفقد تركيزى على الفور ..

يجب أن أتذكر .. يجب .. أريد أن أنتهى من هذا العذاب .. أريد أن أنتقم .. أريد أن أتخلص من أنفاس الكحول هذه !!

وبعد عشر دقائق كاملة ، هززت رأسى لأقول فى أسف :

ـ لا شيء ..

مطت (لارا) شفتيها ، كأنما كانت تتوقع هذا ، وقامت من مكانها وهى تقول :

ـ حسنًا .. لم أكن أريد أن ألجأ إلى هذا الحل .. لكن يبدو أننا لا نملك سواه ..

ـ أى حل ؟!

ـ التنويم المغناطيسى ..

ـ لقد جربوا معى كل الطرق ...

ـ لكنهم لم يجربوا طريقتى ...

قالتها ، ثم غابت فى الغرفة المجاورة للحظة ، قبل أن تعود وهى تحمل محقنًا يحوى سائلاً شفافًا ، أخذت تفرغ الهواء منه بهدوء ، وهى تقول :

ـ اكشف لى ذراعك من فضلك ..

شعرت بنوع من القلق ، يتحرك داخلى ، وأنا أنظر إلى هذا المحقن ، متذكرًا تجربة (مجدى) التى أجراها علىّ ، لأقول :

ـ ما هذا ؟!!

ـ مهدئ .. سيساعدك على الاسترخاء ..

ـ تمامًا كما قال لى (مجدى) حين أجرى تجربته ..

ـ لا تقلق ، والآن ..

وببساطة تامة ، دست المحقن فى ذراعى ، لأشعر بتلك الوخزة القصيرة ، ثم بالسائل البارد ، يقتحم وريدى ، ثم ...

ثم بدأ الخدر يغزو ذراعى ، ببطء أولاً ، ثم انتشر فى جسدى كله ..

ومن بعيد أتى صوت (لارا) ، يقول :

ـ أنت الآن فى حالة استرخاء تامة ، كل ما أطلبه منك ،

هو أن تغلق عينيك ، لكن لا تستسلم للنوم مهما كان السبب .. كل ما ستفكر فيه الآن هو (مجدى) .. أنت معه الآن ، ولو استسلمت للنوم سيقتلك ؛ لذا يجب أن تقاوم النعاس الذى تشعر به ..

كنت بالفعل أشعر بنعاس عجيب يجذبنى إليه ببطء واثق ، لكنى حاولت الاحتفاظ بقدرتى على التركيز ، وأخذت أتخيل نفسى أقف مع (مجدى) فى عيادته ، و.... و....

وبدأ شعور قديم يستيقظ فى أعماقى ..

شعور بالسقوط ، والضوء المبهر يغمرنى من كل اتجاه ، على نحو أغشى عينى ..

تمامًا كما حدث لى حين أجرى (مجدى) تجربته علىّ ..

(مجدى) .. أنا أراه الآن فى وقفته المستفزة ، ينظر إلىّ مبتسمًا ببرود ..

أراه وأسقط أكثر ..

ثم أراها .. (مايا) .. تنفث دخان سيجارتها ، فيتخذ الدخان أشكالاً عجيبة تحلق حولى ، وأنا أستمر فى سقوطى اللانهائى ، ثم تتبدد الأشكال ، ويتبدد الضوء ..

ثم أرى ذلك الحلم العجيب الذى كان يراودنى منذ التجربة .. قاعة ينحنى فيها طيف رجل على جثة رجل ملقاة على أرض القاعة ...

لسبب ما أشعر أن لهذا الحلم أهمية خاصة ، لكنى لا أستطيع أن أحدد كيف ..

من هذا الرجل ؟؟ ومن هذه الجثة ؟؟ ومن أين هذه القاعة ؟؟!!!

أسئلة كثيرة لا إجابة لها كالمعتاد ، ولم ينقذنى منها سوى يد الدكتورة (لارا) الغليظة ، إذ أخذت تهزنى بعنف ، وهى تقول :

ـ مسيو (سامى) .. استيقظ .. أنا لا أملك الليل بطوله ..

فتحت عينى بصعوبة ، لتطالعنى هى بوجهها السمج ، وهى تسأل :

ـ هل تذكرت شيئًا ؟!

ـ لا .. لا ..

ـ لا بأس .. سنواصل فى المرة القادمة ..

هززت رأسى موافقًا ، ثم تحاملت على نفسى ، لأغادر المكان بخطوات غير متزنة ، وصوت (لارا) يدوى من خلفى :

ـ مسيو (سامى) .. سأنتظرك ..

لكنى لم أقو على الرد ، بل واصلت طريقى إلى خارج المبنى ؛ لتستقبلنى باريس .. بليلها البارد ..

يجب أن تنتهى هذه المأساة .. يجب ..

لكن كيف ؟!!

هذا هو السؤال ..

★ ★ ★



حين عدت إلى السفارة ، كانت عقارب الساعة تشير إلى بعد منتصف الليل بقليل ، وكان مبنى السفارة من الداخل شبه خاليًا ، وقد استبدلت الأضواء الساطعة ، بإضاءة خافتة مريحة للعين ، فاتجهت إلى الاستراحة ، وأنا أشعر بإنهاك عجيب ..

وبالطبع وجدت السيد (صلاح) هناك ، كعادته يحتسى فنجانًا من القهوة ـ التى تساعده على النوم كما يقول ـ ويقرأ فى كتاب ضخم ، وما إن رآنى ، حتى أشار إلىّ بالجلوس قائلاً :

ـ عدت أخيرًا .. تعال ..

ألقيت بجسدى المنهك على الأريكة أمامه ، فترك هو الكتاب ، ومال علىّ ليسألنى بصوته الهادئ :

ـ هل ذهبت إلى الجلسة مع الدكتورة (لارا) ؟!

أومأت برأسى إيجابًا ، فربت هو على ركبتى ، قائلاً :

ـ أدرك صعوبة الأمر عليك .. لكن لا بأس .. سينتهى هذا كله فى يوم ما ..

ـ هذا لو ظللت حيًا حتى يأتى هذا اليوم ..

ـ لقد عانيت أكثر مما ينبغى، وهذا لايعنى إلاشىء واحد، أن القدر قد اختارك لشىء ما، وأنه يعدك لهذا الشىء بكل ما تمر به ..

ـ هل لى أن أسألك شيئًا ؟!

ـ بالتأكيد ..

ـ ألا توجد طبيبة نفسية أكثر أنوثة من (لارا) هذه ؟!

انفجر السيد (صلاح) فى الضحك، وقام ليربت على رأسى، قائلاً :

ـ ألم أقل لك أنك شقى؟ لاترهق نفسك بالسهر، فسأحتاج إليك غدًا .. سنذهب إلى غداء عمل ..

ـ أين ؟!!

ـ فى (ماكسيم) يا فتى .. أشهر مطعم فى باريس على الإطلاق .. لكونى سفير .. مميزات كما تعلم ..

ثم إنه لوح بيده، وغادر الاستراحة، لأبقى أنا وحدى مجددًا ..

لو كان القدر قد انتخبنى لشىء ما كما يقول، فمتى يأتى هذا الشىء ؟؟!

لا يهم ما هو هذا الشىء، فلا يوجد ما هو أسوأ مما أنا فيه الآن، المهم أن أرتاح ..

المهم أن أجد إجابات لأسئلتى ..

المهم أن ...

* * *

استيقظت فى اليوم التالى مع الساعات الأولى للصباح، لأتناول فطورًا فرنسيا من القهوة الفرنسية الشهيرة، وقطع (الكرواسون) التى لاتمت بصلة لذلك الهراء الذى كنت أتناوله فى مصر .. هنا بلد (الكرواسون) الأصلى، والمجد لفرنسا !

بعد ذلك بدأت أمارس عملى الجديد، فى التنقل من مكان لآخر داخل السفارة، دون أن أقدم خدمة لأحد، أو أن أكون ذو فائدة حقيقية لأحد ..

وفى الثانية عشر ظهرًا، طلبنى السيد (صلاح) لأستعد لرحلتنا إلى (ماكسيم) أشهر مطاعم فرنسا على الإطلاق .. سيجتمع هو ببعض السادة الفرنسيين لعقد سلسلةً من الاتفاقيات، التى يهز الجميع فيها رأسهم بامتنان، دون أن يصلوا إلى شىء مهم، ثم ينهون عملهم بوعد بغداء جديد فى مطعم آخر ..

كل المطلوب منى أن أجلس على مقربة من السفير ، تحسبًا لأى طارئ ، وسأتناول غداءً فاخرًا على نفقة السفارة ، ثم أعود لأمارس حماقاتى المهنية ، فى السفارة من جديد ..

استعددت بأن ارتديت أبهى حلة أمتلكها ، وأخذت أنتظر فى سيارة السفارة ، حتى وصل السيد (صلاح) ، الذى لم يكد يرانى بهذه الأناقة ، حتى قال مبتسمًا :

ـ أكرم .. إذن فلقد قررت أن تستغل الفرصة للتعرف على حسناوات ..

ـ أتعرف على فتاة تتناول طعامها فى ماكسيم ؟! أنا لم آتِ هنا لاستثمار ثرواتى كما تعلم ..

ـ ولم لا ؟! هنا لا يوجد ذلك السخف المتعلق بالماديات ..

وتحركت بنا السيارة لتجوب شوارع باريس ، متجهة إلى المطعم ، وأخذت أنا أرمق الشوارع والمنازل والمارة ، مستسلمًا لحالة من الشرود ..

ورغمًا عنى تذكرت زوجتى ...

المرأة التى جعلتنى أدرك أن السخف المتعلق بالماديات ، قد يكون مهمًا بحق ...

من الغريب أن تكون مطلقًا من امرأة ، لا تذكر حتى لماذا تزوجتها .. وهنا تأتى نصيحة جديدة مجانية أمنحها لك ... لا تتزوج !!

ثم حدث ما جعلنى أنتفض من حالة الشرود التى كنت فيها ، وجعل قلبى يخفق بأضعاف سرعته الطبيعية ..

فقد رأيته ..

رأيت (مجدى) !!!!

* * *

٤

كان يقف هناك ...

كان يقف أمام متجر صغير لبيع الصحف ، يقلب فى صفحات أحد المجلات ، بهدوء حين رأيته ورآنى ؛ ليأخذ أغرب رد فعل ممكن ..

ابتسم !! الوغد الحقير كان يبتسم ، قبل أن يلقى بالمجلة التى فى يده ؛ ليختفى عند الناصية التى يقف بالقرب منها ، فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أصرخ فى السائق ليتوقف ، بينما انتابت الدهشة السيد (صلاح) الذى هتف :

- أكرم .. ما الذى حدث ؟!

لكنى لم أجبه ، بل انتهزت لحظة توقف السائق ؛ لأقفز من السيارة ، متجاهلاً أبواق السيارات التى أخذت أجرى أمامها كالمجنون ، لتغطى على هتاف السيد (صلاح) من خلفى ..

إنه هو ... هو ... هو ...

(مجدى) ..

أخذت أتقافز بين السيارات التى بدأ سائقوها فى إمطارى بالسباب الفرنسى المهذب ، حتى وصلت إلى الناصية التى اختفى عندها (مجدى) ، فرأيته فى نهاية الشارع يستعد لركوب سيارته بتمهل شديد ، كأنه كان ينتظرنى حتى أراه .. وما إن رآنى حتى لوّح إلىّ بيده كأنه يودعنى ، ثم انطلق بسيارته ، بينما أنا ألهث بعنف وأنا أجرى بأقصى سرعتى تجاهه .. إنه هو .. هو .. وسيهرب منى مجدداً !!

من المستحيل أن أهجم على أحد السيارات لأنتزع قائدها من مكانه ، لأبدأ فى مطاردة (مجدى) فى شوارع باريس كأننا فى قصة بوليسية ، دون أن أجلب نصف شرطة باريس خلفى ؛ لذا فلا يوجد أمامى سوى فرصة أن يتوقف (مجدى) أو يهدئ من سرعته ، فى هذا الزحام ، وهذا يعنى أنه علىّ ألا أتوقف عن العدو مهما كان السبب ..

يجب أن تساعدنى قدراتى هذه المرة .. يجب ..

كيف ظهر ؟! إن الأمر يبدو كأنه كان ينتظرنى ، فأنا لم أعتد الصدف السعيدة من هذا النوع ، لكن كيف ولماذا ؟!

كيف عرف أننى سأراه ، ولماذا ظهر أمامى بهذه الصورة ؟!!

إنه يعرف أننى هنا إذن ..

يجب أن أواصل يجب أن أحتمل ..

السيارة تبتعد أمامى ، وقد خلا الشارع أمام (مجدى) بمعجزة ؛ ليزيد من سرعته أكثر فأكثر ، بينما أخذت سرعتى أنا تتباطأ تدريجيًا ، وأنا أشعر بعضلات ساقى تكاد تتمزق ..

وأخذت المسافة بيننا تتزايد ، وأخذت أنا أشعر بالدماء تتصاعد إلى رأسى ، وقد تحول لهاثى إلى ما يشبه شهيق الغريق حيث ترتفع رأسه لثانية فوق سطح الماء ، قبل أن يعاود الغرق ..

وفى النهاية ـ وأيًا كانت القدرات التى كنت أتوقَّعها ـ انهار جسدى على الأرض ، لأسقط على ركبتى ، وأنا أضع يدى على صدرى ، أجاهد لأتنفس ، وقد بدأ خفقان قلبى يدوى فى رأسى كالطبول ..

لقد فشلت وهرب (مجدى) .. هذه هى الحقيقة التى يجب أن أتعايش معها فى الفترة القادمة ..

لكنى سأراه مجددًا .. أشعر أن هذا سيحدث .. المهم الآن أن أحاول الوقوف و...

« أكرم .. ما الذى حدث ؟! »

أتانى صوت السيد (صلاح) فالتفت لأجد سيارته تقف جوارى ، وقد خرج هو منها محاولاً السيطرة على أعصابه .. على الأقل نادانى (أكرم) أمام السائق !

كنت ألهث بشدة فخرجت إجابتى ، على أجزاء :

ـ (مجدى) .. رأيته .. هرب ..

ـ ماذا تقول ؟!!

ـ رأيت (مجدى) ..

ـ حسنًا .. تماسك وادخل معى السيارة ، وسنتحدث فيما بعد .. إننا نلفت الأنظار إلينا بهذه الصورة ..

ـ ولكن ..

ـ سنذهب إلى المطعم كما خططنا ، وسنترك موضوع (مجدى) للمساء .. هيا ..

وهكذا تبعته صاغرًا عائدًا إلى العربة لنواصل طريقنا .. أنا أتفهم موقفه على كل حال .. إنه السفير ، ولا يليق به أن يتورط فيما يحدث ...

لقد رأيت (مجدى) اليوم ...

وهذا يعنى أننى فى الطريق الصحيح ..

★ ★ ★



للأسف لم تنته أحداث هذا اليوم عند هذا الحد ..

كنت فى مطعم (ماكسيم) أجلس على تلك المائدة فى الزاوية ، قرب نافذة المطعم ، فى انتظار السيد (صلاح) الذى انهمك فى حديث هامس مع مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين ، بينما أخذت أنا أحدق فى غذائي الفرنسى ، المكون من أشياء ، أقسم أننى لا أعرف عنها شيئًا ..

لست أفهم هذه المطاعم الفخمة على الإطلاق ... إنهم يطلبون منك أخذ موعد قبل المجىء بأيام ، ثم أن تأتى بملابس رسمية كاملة ، كأن رئيس وزراء فرنسا هو الذى سيقدم لك الطعام ، ثم فى النهاية يضعون أمامك طبقًا عليه قطعة أو قطعتان من أشياء لا يمكنك التعرف عليها ، إلا لو كنت خبيرًا ، وكل هذه المتع بأسعار خرافية !!

لم أكن على استعداد لتناول أى طعام ، وأنا منهمك فى التفكير بشأن ما حدث اليوم ؛ لذا أخذت أعبث فى طبقى بالشوكة ، وأنا أضع تصورات عديدة للموقف ..

(مجدى) هنا كما توقعوا .. عظيم .. لكن لماذا ؟؟!

لماذا فرنسا ؟!! ما هى خطوته التالية ؟!

هل هنا مقر منظمته العجيبة هذه .. منظمة الفوضى ؟!!

ولماذا لم يبد أنه يخشى مواجهتى إلى هذا الحد ؟!

هذا السؤال بالذات كان يثير خوفى .. بالمنطق .. لو كنت أنا قد اكتسبت هذه القدرات من تجربته علىّ ، فأى قدرات قد يمتلكها هو ؟!!

وهل هناك آخرون ؟؟! هنا فى فرنسا ؟؟!

هل تعمل المنظمة الآن فى الخفاء ؛ لتعد للعالم مفاجأة جديدة ؟!!

كنت غارقًا فى هذه الأسئلة ، أبحث عن جواب لأى منها ، معتصرًا ذاكرتى قدر الإمكان ، علِّى أتذكر شيئًا عن تلك الفترة المظلمة فى حياتى ، حين رأيت ذلك الرجل عبر النافذة متجهًا إلى المطعم ..

كان عجوزًا أشيب الشعر ، ويبدو من خطواته المتثاقلة ، وتلك العصا التى يستند عليها أنه ليس فى أتم صحة .. لكن عينيه كانت تعكسان حزمًا وقوة لا يتماشيان مع جسده ، كأنه لواء متقاعد ، رأى ما يكفيه من الأهوال ، ولم يعد هناك ما يهمه ..

كان يدق الأرض بعصاه العاجية وهو يتجه إلى مدخل المطعم ، ليستقبله ثلاثة من الخدم ، هللوا قائلين :

مسيو (فرانسوا) .. مرحبًا بعودتك ..

لم يجبهم (فرانسوا) ، بل ترك الخدم ينزعون عنه معطفه ، ثم تولى أحدهم إرشاده إلى طاولة أجلسه عليها باحترام بالغ ، ثم وقف أمامه بأدب ، حتى تكرم عليه مسيو (فرانسوا) ليقول :

ـ كالمعتاد ..

ـ كما تأمر مسيو (فرانسوا) ..

وابتعد الخادم بخطوات سريعة ؛ ليحضر هذا (المعتاد) .. إنه زبون مستديم إذن ..

لست أدرى بالضبط ما الذى دفعنى إلى مراقبته ، لكن شيئًا ما فى وجهه ، كان يدفعنى إلى مراقبته بدقة .. ربما هى تلك النظرة العجيبة التى أراها فى عينيه ، لكن لا يهم .. فلا يوجد ما أفعله هنا على كل حال ..

وهكذا أخذت أراقبه خلسة ، حتى جاء كبير طهاة المطعم شخصيًا ، ليضع أطباقًا ، تحمل أجسامًا مجهولة على أنها

طعام ، وأخذ يوزع هذه الأطباق على المائدة بمهارة وسرعة ، وهو يردد عبارات الترحيب ، التى تجاهلها (فرانسوا) تمامًا ، بل ظلّ محتفظًا بصمته إلى أن تركه كبير الطهاة فى حاله ، فتناول شوكة وسكينًا ، وأخذ يشق طريقه عبر المائدة ، راشفًا من كوب الخمر على يمينه ، من حين إلى آخر ..

صحيح أنه رفع عينيه إلىّ مرة أو مرتين ، ورآنى أراقبه ، إلا أنه لم يلق إلىّ بالاً ، بل استمر فى تناول طعامه وانتهى منه ، ثم أخرج غليونًا صغيرًا من جيبه ، وبدأ فى إشعاله ، رغم قوانين المكان الصريحة بمنع التدخين ..

هذا الرجل ذو نفوذ صريح ، وأصحاب النفوذ يتشابهون فى كل شىء ، حتى إننى لن أستغرب لو جاء صاحب المطعم شخصيًا ليعرض عليه أنواع تبغ مختلفة لغليونه ، لهذا لم يهتم هو بمراقبتى له .. إننى بالنسبة له لا أشكل أى تهديد ، ولن يضيره أن تحدق حشرة مثلى فيه طالما أنى لن أزعجه بتعامل مباشر ..

انتهى الكونت (فرانسوا) ـ كما قررت أن أسميه ـ من تعكير سماء المطعم ، فأعاد الغليون بعد إفراغه إلى جيبه ، ونهض وقد وضع حفنة من الأوراق المالية على الطاولة ، دون أن ينتظر حتى يأتى إليه أحد ، ثم اتجه نحوى !!

نعم نحوى .. بالطبع ارتبكت أنا مع هذا التصرف المفاجئ ، وأشحت بنظرى عنه كأننى لم أكن أراقبه طيلة الوقت ، بينما أخذ هو يدق الأرض بعصاه العاجية متجهًا نحوى ، حتى أصبح أمام الطاولة ، ليضع يده فى جيبه ، فتحفزت أنا ، مستعدًا للأسوأ ، لكنه أخرج بطاقة صغيرة ، وضعها على الطاولة ، دون أن ينطق بحرف ، قبل أن يدق الأرض بعصاه مبتعدًا !!

هنا أخذت أحدق فيه ذاهلاً ، وهو يغادر المطعم ، دون أن ينظر إلىّ كأن شيئًا لم يحدث ، ثم مددت يدى لأتناول البطاقة الصغيرة التى لم تكن تحمل سوى رقم هاتف وكلمة واحدة ..

(اتصل ...) !!!

مهلاً .. اتصل ؟؟!! هذا الرجل يعرفنى !!!

هذا الرجل يعرفنى .. أنا لا أعرفه .. هذا يعنى أن التعارف حدث فى الفترة التى كنت فيها تحت تأثير التجربة .. هذا الرجل قد يحل لى اللغز ..

هذا الرجل رحل !! غادر المطعم ، ولم يعد بالإمكان أن ألحق به ...

لكن لا بأس ، فلقد ترك طرف خيط لأجذبه .. رقم هاتف
ـ يبدو أنه رقم هاتفه المحمول ـ وكلمة واحدة صريحة ..
اتصل .. وهذا ما سأفعله بالتأكيد ...

★ ★ ★

« حسنًا .. نحن فى انتظار المعلومات .. »

قالها السيد (صلاح) ، ثم استرخى فى كرسيه ، وشبك أصابعه خلف رأسه ، ليقول :

ـ أنت متأكد أنه كان (مجدى) ؟

أجبت أنا .. وأنا أذرع مكتبه جيئة وذهابًا ، بخطوات عصبية :

ـ نعم هو .. أنا صديق طفولته ويمكننى أن أتعرف عليه جيدًا .. ولو لم يكن هو ، فلماذا هرب حين رآنى ؟!

ـ أريد فقط ألا أترك مجالاً للخطأ .. حسنًا .. وماذا عن ذلك الفرنسى ؟!

ـ كما قلت لك .. لقد ترك لى رقم هاتفه ، ولابد أنه ينتظر اتصالى ، لكنى قررت عرض الموقف عليك أولاً ..

ـ خيرًا فعلت ، فلا نريد أى تصرفات متهورة بعدما فعلته اليوم .. لقد أرسلت رقم التليفون لرجالنا ، وسنحصل على كل المعلومات المتاحة عن هذا الرجل بعد قليل .. وهكذا عدنا ، يغلفنا الصمت والترقب ، ننتظر الفاكس الذى سيحمل إجابات لبعض الأسئلة التى لا تنتهى ..

سمعنا طرقات على باب مكتب السيد (صلاح) حيث كنا نجلس ، فهتف :

ـ ادخل ..

دخل علينا مسئول العلاقات العامة ، وقد بدا عليه التوتر والانفعال ، كأنما خرج لتوه من معركة ، وأخذ يقول :

ـ سيد (صلاح) .. هناك امرأة فرنسية ترغب فى مقابلتك .. حاولت منعها ، لكنها ثارت وأخذت تصيح بغضب أن الأمر غير قابل للتأجيل .. ولست أدرى ما الذى يجب علىّ فعله ..

ـ دعها تأتى .. لنر ما الذى تريده ..

ـ كما تأمر يا سيد (صلاح) ..

ثم إنه خرج ليغيب بضع دقائق ، عاد بعدها ومعه حسناء فرنسية ، بدت الثورة واضحة فى ملامحها الجميلة ، وهى

تنظر لمسئول العلاقات العامة بحقد ، بينما أشار لها السيد (صلاح) بالدخول ، وهو يقول بهدوء :

ـ تفضلى يا آنستى ..

أجابته الحسناء الفرنسية بسرعة :

ـ لست آنسة .. ولقد جئت من أجل هذا الرجل ..

ثم إنها ـ وكأن هذه الليلة لا تريد أن تنتهى ـ أشارت إلىّ ، قائلة :

ـ لقد تبعتك إلى هنا .. لست أعرف ما الذى تفعله هنا ، لكنى لم أخش كونك فى سفارة ..

كنت أنا قد ارتسمت إمارات الذهول على ملامحى كأوضح ما يكون ، فلم أنطق بحرف ، بينما قال السيد (صلاح) وقد أخذته الدهشة :

ـ هل تعرفين هذا الرجل ؟!

ـ نعم أعرفه .. إنه زوجى ..

ـ !!!!!!!!!

★ ★ ★





أنا الآن أتمدد على الشيزلونج ، فى عيادة الدكتورة (لارا) ، أستمع إلى الموسيقى المعتادة ، وأرتجف ..

وكانت هى تفرك جبهتها بعصبية ، وهى تجلس جوارى ، عاجزة عن النطق ، وقد وصلت إلى المرحلة ، التى أدركت فيها أن ترديد عبارات المواساة والتشجيع لن تجدى نفعًا ، وأنها ستضطر لممارسة عمل حقيقى أخيرًا ..

تنهدت بأسى ، ثم سألتنى :

ـ إذن فلقد رآك رجل لم تره أنت من قبل فى المطعم ، ومنحك رقم هاتفه ؛ لتتصل به كأنه يعرفك ، ثم جاءت هذه المرأة التى تدعى أنها زوجتك إلى السفارة .. عظيم .. هل لى أن أفهم ما الذى يحدث هنا ؟!!

ـ ظننت أن هذا دورك أنت .. أنا هنا للحصول على إجابات ..

ـ وأنا لا أملك هذه الإجابات .. أنت من يملكها ، فى ذلك الجزء المظلم من ذاكرتك ، ومسئوليتك أن تساعدنى على إنارة هذا الجزء ..

اقترحت على الفور :

ـ لنجرب التنويم المغناطيسى مرة أخرى ..

فأجابتنى :

ـ لم نعد بحاجة إلى هذا الآن .. هذه المرأة التى تدعى أنها زوجتك .. لو كانت كذلك حقًّا ، فهى قد تكون مصدر عون كبير بالنسبة لنا ، أين هى الآن ؟!

استرخيت فى الشيزلونج أكثر وأكثر ، لأجيب :

ـ لن تصدقينى لو أخبرتك !

★ ★ ★

ـ إنه زوجى ..

قالتها الحسناء الفرنسية ، فساد الصمت البليغ على المكان ، وقد شعرت أنا برغبة عارمة لأفقد الوعى على الفور ، بينما تدلى فك السيد (صلاح) بذهول ، لم يستطع مقاومته ، وهو يردد خلفها بصورة آلية :

ـ زوجته ؟!!

ـ نعم زوجته .. وأنا هنا للحصول على الطلاق .. تمامًا كما اتفقنا ..

زوجتى !! تريد الطلاق ؟!!

ما أريده الآن هو أن أفقد الوعى ـ أو الحياة .. لافارق !! ـ وأن أستيقظ ، لأجد أن البشر قد اختفوا تمامًا من على سطح الأرض ، وبلا رجعة !!

لكن الحسناء الفرنسية ، قالت الكلمة السحرية ، التى جعلتنى أحتفظ بوعيى ، وجعلت السيد (صلاح) يهب من مكانه ، بكل انفعال :

ـ نعم زوجى .. ألست (سامى) صديق الدكتور (مجدى) .. دكتور الطب النفسى ؟!

هتف السيد (صلاح) :

ـ تعرفين الدكتور (مجدى) ؟؟

ـ نعم .. إنه من زوجنا ، حين كنت فى مصر ، و...

ـ أين هو ؟!!

ـ لستُ أعرف ..

بدا نوع من الإحباط فى صوت السيد (صلاح) ، وهو يجلس مجددًا ، مشيرًا للفرنسية بالجلوس هى الأخرى ، قائلاً ، وقد قرر تولى زمام الأمور :

ـ معذرة يا سيدتى ، لكنى لم أعرف اسمك ..

ـ (جين) ..

ـ حسنًا .. أنت تقولين أن هذا الرجل زوجك ، هل لديك ما يثبت هذا ؟!

ـ بالطبع .. إننى لا أمزح ..

ثم إنها أخرجت من حقيبتها مجموعة من الأوراق ، ناولتها للسيد (صلاح) ، فأخذ هو يتفحصها بدقة بحثًا عن أى خطأ محتمل ، بينما شرحت ، وصوتها يأتى إلىّ من بعيد :

ـ لقد حدث هذا حين كنت فى مصر .. المفترض أننى كنت سأتزوجه لمدة أسبوع ينتقل فيه معى إلى باريس ، ثم أحصل أنا على الطلاق ، وعلى المبلغ الذى اتفقت عليه ..

ـ مبلغ ؟!!

ـ بالطبع .. هكذا كان الاتفاق الذى عقده معى صديقه ، الدكتور (مجدى) ، ولقد استلمت المبلغ كله قبل إتمام الزواج ، وبهذا ينتهى دورى فى الاتفاق ، لكنه .. ثم أشارت علىّ باشمئزاز يؤكد أنها تلقت مبلغًا مغريًا حقًّا لتقبل الزواج بى ، وهى تواصل :

ـ لكنه اختفى فجأة ، هو وصديقه الدكتور .. وأنا الآن أريد أن أنتهى من هذا كله ..

نظر إلى السيد (صلاح) ليلقى الكرة فى ملعبى ، لكنى كنت فى حالة لا تسمح بالنطق ، فتطوع هو ، ليقول :

ـ حسنًا يا سيدتى .. ستحصلين على ما جئت من أجله ، لكن ليس الآن ، ربما لو تركت لنا بياناتك ، ومررت علينا لاحقًا ، فقط لنحصل على الوقت الكافى للتخلص من الأوراق والتفاصيل القانونية ..

مطت (جين) شفتيها كأنما تقلب الأمر فى رأسها ، ثم هبت من على مقعدها قائلة :

ـ لا بأس .. لكن أريد الانتهاء من هذا كله بسرعة من فضلك ..

ثم إنها رمقتنى بذات الاشمئزاز مرة أخرى ، وتركتنى أحدث الشياطين التى أخذت تتصارع فى رأسى ..

حسنًا .. ها أنا متزوج من امرأة لا أعرفها ، وهو شىء جديد لم أضعه فى الحسبان ..

المهم فيما قالته أن (مجدى) فعل هذا ، لأنه كان ينتوى نقلى إلى فرنسا ، منذ زمن ، لكنى أفسدت خططه ، وهذا يعنى شيئًا واحدًا فحسب ..

أن باريس هى مقر منظمته هذه حقًا ..

وأننى فى الطريق الصحيح ..

خيم الصمت علينا ، فلم أكن فى حالة تسمح لى بالكلام ، وكذلك كان السيد (صلاح) يقلب الأمر فى رأسه من عدة أوجه ، وهو يردد فى سره بحماس :

ـ لو لم أر هذا بنفسى لما صدقته ..

حسنًا يا عزيزى ، صدقه .. فحياتى أصبحت مهزلة منذ تلك الليلة التى أجريت فيها التجربة .. مهزلة علىّ أن أدفع ثمن كل خطأ اقترفته فيها دون أن أتذكره ...

ارتفع صوت الفاكس أخيرًا ، ليبدد حالة الصمت هذه ، فتناول السيد (صلاح) الورقة التى خرجت ، وتنحنح قبل أن يقول :

ـ سامى .. إنها بيانات الرجل الذى قابلته فى المطعم .. لقد حصل رجالنا عليها ..

رفعت إليه عينين متسائلتين ، فأعاد هو النظر إلى الورقة ، قبل أن يقول :

ـ هل أنت متأكد أنك تريد أن تعرف الآن ؟!

أجبت ساخرًا لأقاوم رغبتى فى البكاء :

ـ ما دام ليس والد زوجتى العزيزة ، فلا بأس ..

ـ حسنًا .. إنه أسوأ من هذا .. إنه (فرانسوا دوبوا) .. رجل مخابرات سابق ..

★ ★ ★

عند هذا الحد كانت طبيبتى النفسية (لارا) قد بدت وكأنها ستفقد عقلها ، وستبدأ فى الصراخ الهستيرى ، إلا أنها أشعلت سيجارة ؛ لتضيف إلى أنفاس الكحول التى تبثها رائحة جديدة ، وقالت :

ـ عظيم .. الآن يمكننى أن أقول إن الموقف تعقد أكثر ..

ـ أنت مفيدة حقًا !!

ـ وهل اتصلت بالرجل كما طلب منك ؟!

ـ بل جئت إليك على الفور قبل أن أفقد عقلى .. كما أن السيد (صلاح) اقترح أن تكون هذه الصدمات المتوالية ، كافية لتحفيز ذاكرتى ..

ـ دعك من هذا .. هذه المرأة التى تزوجتها ، حدثنى عنها قليلاً ..

ـ أهذا وقته ؟!!

ـ بالطبع وقته .. لقد تزوجتها ولو لساعة ، لابد أن حدثًا

بهذه الأهمية يرتبط بأحداث أخرى فى ذاكرتك .. هيا .. صفها لى ..

أغلقت عينى محاولاً تخيلها ـ والواقع أننى أصبحت أملك ذاكرة فوتوجرافية مبهرة ـ وأخذت أقول :

ـ شقراء هى .. فى أواخر العقد الثانى من العمر ، خمرية البشرة ، وتملك غمازتين فى وجنتيها حين تبتسم ، عيناها زرقاوتان ، لكنها زرقة قاسية أبعد ما تكون عن الرقة ، ممتلئة الجسد ، لكنها ليست بدينة .. واسمها (جين) .. (جين مونتان) ..

عند هذه النقطة وجدتنى أنتفض .. هى لم تخبرنى أن اسمها (جين مونتان) !!

أنا أعرف هذه المرأة حقًا !!

أغمضت عينى محاولاً تذكر المزيد من التفاصيل ، محاولاً رسم صورة لها فى خيالى ..

ها أنا أراها تقف معى ومع فارس كوابيسى (مجدى) فى أحد الفنادق فى القاهرة .. أراها تتحدث إليه باهتمام .. أراها تأخذ منه نقودًا .. نقودًا كثيرة ..

ثمن زواجها منى لحين وصولنا إلى فرنسا ، بعد ذلك .. بعد ذلك ..

بعد ذلك تنتهى الصفقة ، ويتم الطلاق .. هذا هو الاتفاق ..

(مجدى) كان يريد نقلى إلى فرنسا ، وبأى ثمن .. لقد كان هذا هو مخططه الذى أفسدته ، والسؤال الآن ممتع بحق ..

أنا فقط ، أم أن هناك آخرون ؟!!

هل هناك الآن من خضع لتجربة (مجدى) بنجاح حتى تم نقله إلى هناك ؟!!

وأى قدرات سيمتلكها فى هذه الحالة ؟!!

قطعت (لارا) حبل أفكارى لتسأل :

ـ هيا أخبرنى .. (جين مونتان) .. ماذا تعمل ؟!

أجبت ببطء :

ـ نادلة فى أحد المطاعم .. لقد كانت تزور القاهرة للسياحة ، حين التقت بـ (مجدى) وعقدت معه صفقة الزواج منى ...

ـ لا شىء عن مكان لقائكم أول مرة ؟ لا شىء عمّا حدث هناك فى القاهرة ؟!!

هززت رأسى نفيًا ببطء ، فنفثت (لارا) المزيد من الدخان وقالت :

ـ عظيم .. وما هى خطوتك التالية إذن ؟!

هذه المرة استغرقت فى تفكير عميق طال لبضع دقائق ، ثم أجبت بحسم :

ـ سأتصل بالكونت (فرانسوا) .. يجب أن أعرف ما يعرفه ..

★ ★ ★



كان أقصر اتصال عرفه التاريخ !

طلبت الرقم ، وانتظرت حتى جاءنى الصوت العجوز يقول بالفرنسية :

- فرانسوا ..

- أنا من تركت له البطاقة فى ...

- انتظرنى فى الكنيسة المقدسة فى جزيرة (لاسيتيه) .. غدًا .. الثامنة صباحًا .. ثم أنهى الاتصال دون أن يمنحنى فرصة لنطق حرف ..

حسنًا .. غدًا فى الثامنة صباحًا ..

الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل ، وهذا لا يمنحنى سوى خمس ساعات للنوم ..

هذا إن عرفت أن أنام فى الأيام القادمة !!

★ ★ ★

فى صباح اليوم التالى كان السيد (صلاح) يقف معى فى غرفتى ، يردد النصائح بلا انقطاع ، مما ذكرنى بأبى حين ذهبت لأول مرة إلى الجامعة ، حين كان يردد بلا انقطاع :

- إياك والفتيات .. إنهن أسرع طريق إلى الفشل ..

هذه المرة كان السيد (صلاح) يردد :

- إياك والتهور .. حاول أن تحصل منه على أكبر قدر من المعلومات ، دون أن تمنحه شيئًا .. لا أريد أى ردود أفعال عنيفة أو تصرفات متهورة .. كما أنك لن تأخذ سلاحك معك هذه المرة ..

هتفت بانزعاج رجل الشرطة الذى لا يقبل تجريده من سلاحه :

- ماذا ؟!!

- لن يسمحوا لك بالدخول ومعك سلاح على أى حال .. كما أننى لا أريد أن أترك لك فرصة لتزج بنفسك إلى السجن ..

- ولكن ..

- هذا أمر .. المفترض أنك ذاهب للحصول على معلومات لا أكثر ..

وهكذا اضطررت آسفًا أن أتخلى عن سلاحى ، وتدثرت بأثقل معطف أمتلكه لأتقى هواء باريس المثلج فى مثل هذا الوقت من الصباح ، وغادرت السفارة متجهًا إلى جزيرة (لاسيتيه) ..

أخذت سيارة أجرة ، فلم أكن أريد التأخر على الكونت (فرانسوا) ، وتوقفت أمام قصر العدل الضخم وسط الجزيرة ، الذى يخفى خلفه تلك التحفة القوطية التى تعود لعام ١٢٤٨م والمسماة بالكنيسة المقدسة (Saint Chapelle) ..

لو كنت فى مزاج رائق لأخبرتك المزيد عن الجزيرة وعن هذه التحفة المعمارية التى على وشك أن أدخلها ، لكنى فى حالة لاتسمح لى سوى بالتماسك ، على أمل أن يأتى لقاء اليوم بجديد ..

حين صعدت إلى الطابق العلوى ، عرفت سر اختيار الكونت (فرانسوا) لهذا المكان على وجه التحديد ...

فمع ضوء النهار الذى أخذ يتوهج عبر خمس عشرة نافذة تغطى الجدران ، شعرت وكأننى أقف فى كتلة من النور ، لا يمكننى تمييز أحد فيها ، بل لا يمكننى تمييز شىء على الإطلاق ...

من بنى هذا الطابق بناه ليكون أعجوبة من الأضواء والألوان ، لكنه لم يخطر له على بال أنه سيكون نقطة ضعف حقيقية لأى رجل أمن ، يجد نفسه فى هذا المكان ، فهنا لا يمكننى رؤية من يقف على بعد بضع خطوات منى ..

كنت أقف فى هذا النور ، حين سمعت العصا العاجية تدق الأرض بالقرب منى ، فأخذت أتلفت حولى ، بحثًا عن مصدر الصوت ، حين ظهر الكونت (فرانسوا) فجأة خلفى ، ليقول بهدوء إرستقراطى :

ـ مرحبًا مسيو (سامى) ..

التفت إليه منتفضًا ، وأنا أهتف :

ـ أنت .. أنت تعرفنى ..

ارتكز العجوز براحتيه على عصاه العاجية ، وقال بذات الهدوء :

ـ بالطبع أعرفك ، وأعرف كل ما حدث لك .. والأهم من هذا كله ، أعرف ما الذى تريده أنت منى ..

هتفت منبهرًا هذه المرة :

ـ تعرف ؟!!

ـ بالطبع .. هذا ما جئت من أجله .. أن أمنحك ما تريده وأن أحصل أنا على ما أريده .. تساءلت فى شك :

ـ وكيف أعرف أنك صادق ؟!!

اتسعت ابتسامته أكثر ، كأنما كان يتوقع هذا السؤال بالذات ، ومد يده ليخرج من معطفه ظرفًا أصفر ، ناولنى إياه دون أن ينطق بحرف ..

أخذت منه الظرف ، وفتحته لأجد مجموعة صور ، لم تكد عيناى تسقطان عليها ، حتى شهقت فى ذهول ، رددته جدران القاعة ..

فما كنت أمسكه فى يدى الآن كان المستحيل بعينه ..

أسوأ المستحيلات .!!

★ ★ ★

كان الظرف مليئًا بالصور .. صور لى وأنا فى القاهرة أعمل .. صور لى مع زوجتى المصرية ونحن فى أحد العطلات .. صور لى مع (مجدى) و(على) .. صور لى وأنا فى عيادة (مجدى) وأنا خاضع للتجربة ، (على) مستلق جوارى ، بينما (مجدى) يحقننا بسائل ما .. صور لى وأنا فى القاعة التى وجدت فيها (مجدى) أتدرب .. صور لى مع أشخاص أعرفهم ، وأشخاص لا أعرف عنهم شيئًا .. صور لى مع (مايا) .. صور لى مع زوجتى الفرنسية .. صور لى فى فرنسا ..

تاريخى كله فى صور !!

أخذت أقلب فى الصورة وأرتجف ، فأمسك الكونت (فرانسوا) بذراعى ، ليسحبنى خلفه ، وهو يقول :

ـ دعنا نتحرك .. فهناك المزيد لتعرفه ..

تبعته كالمأخوذ عبر طريق طويلة ومعقدة ، حتى وصلنا للساحة الخلفية ، حيث كانت سيارته تنتظرنا ، وسائق أنيق الهندام ، يفتح لنا باب السيارة فى احترام ، فاتخذت مكانى جواره ، عاجزًا عن النطق ، بينما قال هو :

ـ أنا أعرف كل شىء عنك يا مسيو (سامى) .. والواقع أننى أعرف أكثر مما توقعه بكثير ..

نطقت بصعوبة لأقول :

من أنت ؟!!

ـ اسمى هو (فرانسوا) .. واليوم سأحكى لك قصة لن تصدقها بسهولة .. قصة كيف بدأ صديقك الدكتور (مجدى) هذا كله ..

★ ★ ★



وضع الكونت (فرانسوا) عصاه العاجية على المائدة بيننا ، وقال :

ـ أنت تعرف بالطبع أننى رجل مخابرات سابق .. لا داع للإنكار .. لقد أعطيتك رقمى الشخصى ، ولابد أن أصدقاءك فى السفارة ، قد أبلغوك بهذا ، على كل حال .. سأحكى لك كل شىء .. القصة بدأت منذ عام ونصف ، حين جاءنى الدكتور (بيير موروا) وهو متخصص شهير فى جراحة المخ والأعصاب ، ليبلغنى بأمر نظرية مثيرة للاهتمام ، أرسلها له صديق مصرى ، وهو الدكتور (مجدى) بالطبع .. النظرية كانت تعتمد على أساس علمى يقول إن الإنسان الطبيعى يستخدم ما يقارب الاثنين فى المائة من قدرات عقله الفعلية .. ماذا يحدث إذن لو تضاعفت هذه القدرة ؟!! ما الذى يحدث لو أصبح لدينا إنسان يستخدم خمسين فى المائة من قدرات عقله الفعلية ؟؟ ثمانون فى المائة ؟!! والواقع أن هذه الفرضية أثارت فضولى ، فقررت لقاء (مجدى) فى القاهرة على أننى رجل أعمال متحمس ، قرر تمويل أبحاثه ، على أساس أن تظفر مخابراتنا بالنتائج أولاً فأولاً ، وبعد ذلك سأترك لهم الخيار فى كيفية استغلال هذه النتائج .. أنت

تعرف أن صديقك (مجدى) كان يستخدم التنويم المغناطيسى كأساس لتجاربه ، ولإطلاق طاقات العقل الكامنة .. لكن ثمة مشكلة واجهها ، دون أن يجد لها حلاً ، وهى أن من يخضع لهذه التجارب يخرج معها كل العنف والشر المدفونين فى أعماقه ، شىء وجد له الدكتور (مجدى) مسمى أدبى يعتمد على رواية إنجليزية ، تدعى ..

ـ الدكتور (جيكل) ومستر (هايد) ..

ـ بالضبط .. تجاربه هذه تنتج شخصًا خارق القدرات ، لكنه شرير وبغيض كمستر (هايد) ، الأمر الذى يتنافى مع الأساس الذى مولت من أجله هذه التجارب ، وهو الحصول على شىء قابل للاستغلال والاستخدام ، وهكذا قررت الانسحاب من هذا كله ، وأدركت أننى كنت أضيع وقتى فى عبث لا طائل منه ، حتى عرفت بعد ذلك ، أن (مجدى) وجد طريقة للسيطرة على من أجرى عليهم التجربة ، وجعلهم يعملون طوع أمره ، وحين حاولت الاتصال به لمواصلة ما بدأه بنقودى ، اختفى فجأة كأنه لم يكن ، لكننى كنت أحمل نسخًا من كل ملفاته ، وكل تجاربه ، فبدأت أتتبع خطاه ، لأصل إلى التالى ..

أولاً .. (مجدى) حوّل تجاربه إلى بداية مشروع مجنون

بتكوين منظمة ، أسماها منظمة الفوضى ، وهى منظمة تهدف لتدمير الأنظمة وإثارة الشغب وربما ماهو أكثر ..

ثانيًا .. (مجدى) هنا فى فرنسا ، حيث كان يعمل طبيبًا شخصيًا للسيد (نيكولاس ساركوزى) أحد أثرى أثرياء فرنسا ، والذى توفى إثر أزمة قلبية ، وخمن إلى من آلت ثروته الهائلة ..

ـ إلى (مجدى) ؟!!

ـ نعم وهكذا أصبح (مجدى) يمتلك النقطة التى يبدأ من عندها والتمويل الكافى ليفعل .. فبدأ فى الإعداد لمقر سرى له هنا ، وبدأ فى نقل رجاله ومعلوماته إلى هنا شيئًا فشيئًا ، حتى أفسدت أنت مخططاته باستيقاظك المفاجئ من تأثير التجربة .. بالطبع أنت لاتعرف ، لماذا أرسلك (مجدى) لقتل هذا الصحفى وعائلته ، أليس كذلك ؟!!

عند هذه النقطة ، كدت أصرخ :

ـ لماذا أرجوك ؟!!

إلا أن الكونت هز رأسه ، وهو يشعل غليونه ، ونفس سحابة الدخان فى وجهى ، ليكمل :

ـ لأن لكل تجربة أخطاء ، ولكل قاعدة شواذ ، وأنت كنت أحد هذه الشواذ .. فأنت الوحيد الذى لم يتمكن من السيطرة عليه تمامًا ، والأخطر أنك الوحيد الذى بلغت قدراته العقلية ، حدًا لم يتوقعه أحد .. لذا وجب التخلص منك ..

ـ لكنى لا أملك أى قدرات خاصة .. فقط أصبحت أسرع وأقوى ..

ـ هذا ما اكتشفته أنت حتى الآن ، لكن صدقنى .. أمامك الكثير لتكتشفه ، ومع الوقت ستدرك هذا جيدًا .. المهم هو أن (مجدى) الآن يخطط لشىء ما ، أعتقد أننى أملك تصور عنه ، لكن لو صدق ظنى حقًا ، لأصبحنا فى كارثة ..

ـ ماذا ؟!!

لاذ الكونت (فرنسوا) بالصمت لدقيقة ، لم يتوقف فيها عن نفث الدخان ، ثم بدأ يشرح لى مخاوفه ، وأخذت عيناى تتسعان هلعًا ..

من الأفضل أن يكون هذا الرجل مخطئًا فيما يظنه ..

من الأفضل لنا كلنا ..

★ ★ ★

٩

كان على أن أجد مكانًا لأجلس فيه وأفكر ..

كان على أن أعد نفسى للمرحلة القادمة ..

الآن أنا أعرف القليل عما حدث فى ذلك الأسبوع الذى قضيته مع (مجدى) ، فالكونت (فرانسوا) لم يكن على علم بكل شىء كما هو واضح ..

الآن يمكننى أن أنظم تفكيرى فى نقاط كأى رجل شرطة ..

أولاً .. أنا الآن متزوج ، وهى نقطة يجب أن أنتهى منها سريعًا ، فلا أريد أى نقاط ضعف فى المرحلة القادمة .. لكن يجب أن أحصل على ما يمكن الحصول عليه من معلومات من زوجتى العزيزة (جين) ، قبل أن أخرجها ـ نهائيًا ـ من حياتى ..

ثانيًا .. (مجدى) هنا ، ويبدو أنه لا يضيع وقته ، بل يسير وفق مخطط زمنى دقيق ، ومهمتى هى أن أدمر له هذا المخطط ، مهما كان الثمن كاملاً ، بعد ذلك سأجعله يدفع الثمن كاملاً ، وربما أكثر ..

ثالثًا .. السيد (فرانسوا) لم يكشف لى عن كل أوراقه ، وهذا بديهى .. إنه رجل مخابرات سابق ، والكتمان جزء من طبيعته .. هو لم يخبرنى إلا بما أراد لى أن أعرفه ، والهدف واضح .. أن أتخلص له من (مجدى) ..

لماذا لا يقوم هو بهذا ، أو لماذا لا يستعين بمخابراته ؟!! لأنه متورط فى شىء ما .. هذا أيضًا بديهى ، وإلا ما كان قد لجأ لى .. أيًا ما كان الأمر ، يجب أن أحذر من هذا الرجل ، وألا أمنحه ثقتى كاملة ..

رابعًا .. من الواضح أن هناك المزيد من القدرات التى أمتلكها ، دون أن أعرف عنها شيئًا حتى هذه اللحظة ، وهذه ليست مشكلة ، لكن الفضول يقتلنى ، لأكتشف ما الذى أستطيع فعله على وجه الدقة ..

خامسًا .. لا يجب أن أخبر السيد (صلاح) بهذا كله ، فهو إما سيحاول منعى وربما إرسالى إلى مكان بعيد ، أو سيتورط معى فيما لا طاقة له به ، وهذا لا يعنى سوء شيئًا واحدًا ..

يجب أن أبتعد .. يجب أن أترك السفارة فى الفترة القادمة ..

ولكن إلى أين ؟؟ !!

* * *

بعد بحث طويل مضنٍ عثرت على فندق رخيص فى الحى اللاتينى ، وأجمل ما فيه هو أن صاحبة الفندق العجوز لم تكن من هواة الأسئلة بأى صورة من الصور ، وهى بالتالى لن تقدم لك أى رفاهية تذكر .. ادفع ما عليك ، وستحصل على فراش جاف فى المساء ، ولا تحاول أن تطالب بأكثر من هذا ؛ لأنك لن تحصل عليه بأى حال ..

بالطبع اتصلت بالسيد (صلاح) واختلقت له قصة وهمية ملخصها أننى لن أعود للسفارة الفترة القادمة لأن الدكتورة النفسية (لارا) نصحتنى بالتغيير كجزء من العلاج .. بالطبع ثار وهاج وماج ، إلا إننى لم أعطه الفرصة للرد بل أنهيت الاتصال .. لو ظللت حيًا ، سأعتذر له بأسلوب لائق ، أما الآن ..

أما الآن فلننتقل إلى الخطوة التالية ..

★ ★ ★

فى المساء كنت أجتاز باب ذلك المطعم الشهير بوجباته الفرنسية الأصيلة ، لأقابل زوجتى .. كانت تقف فى ركن المطعم تثرثر مع أحد الطهاة حيث رأتنى ، لتقلب سحنتها ولتتجه نحوى ووجهها الجميل يحمل تعبير خاو ..

ـ ما الذى تريده ؟!

ـ بضعة أسئلة وسأتركك لشأنك ..

ـ أسرع إذن .. فلايجوز لى التحدث مع الزبائن هنا ..

ثم رافقتنى إلى طاولة منزوية ، فجلسنا وأنا أحاول ابتلاع حقيقة أن هذه المرأة التى لا أعرف أى شىء عنها ، هى زوجتى قانونًا ، لأقول :

ـ (مجدى) هنا فى فرنسا .. هل تعرفين هذا ؟!

ـ لا بالطبع .. لو رأيته أخبره أنه وغد .

ـ أعدك أننى سأفعل ، لكنى فى حاجة لمعرفة بضع تفاصيل ..

ـ أسرع من فضلك ..

ـ حين قابلت (مجدى) فى القاهرة ، هل مارس عليك أى تجربة تنويم مغناطيسى ؟!

ـ لا ...

ـ عظيم .. هل تذكرين أى شىء غريب يتعلق به .. شىء كان يفعله أو يردده ؟!

ـ لا .. مهلاً .. لقد كان يحمل دائمًا صحيفة (اللوموند) .. كان يقول إن هذه الصحيفة هى الأفضل على مستوى العالم ، لكنى أعتقد أنه كان يحاول إبهارى لا أكثر ..

ـ وماذا عنى أنا ؟!

ـ ماذا عنك ؟؟؟!

ـ هل لاحظت شيئًا غريبًا يتعلق بى ؟!

ـ كنت شاردًا طيلة الوقت ، وكنت تتحدث قليلاً ، لكنى لم أكن لأهتم .. لقد كان الأمر كله صفقة بالنسبة لى .

ـ أشكرك .. لم يعد لدى المزيد .

وهممت بالانصراف لكنها استوقفتنى قائلة :

ـ لقد اتفقت مع محامى للانتهاء من إجراءات الطلاق ..

ـ ما المطلوب منى بالضبط ؟!

ـ أن تمر على مكتبه ، وهو سيتولى الأمر كله وسيبلغنى حين الانتهاء من هذا كله .

ثم ناولتنى ورقة عليها اسم المحامى وعنوانه ورقم هاتفه ، فدسستها فى جيبى واتجهت لأغادر المطعم ، لكنى توقفت لأقول :

ـ بالمناسبة .. لو حاول (مجدى) الاتصال بك ، اهربى بلا نقاش ..

ثم غادرت المكان ، وقد تركتها خلفى ذاهلة ..

ثانى خطوة انتهت ..

والآن يحين وقت الخطوة التالية ..

* * *

من الصعب الحصول على مسدس جيد فى باريس ..

هؤلاء القوم يعتقدون أن المسدس ، سلاح فظ أحمق ، ينشر الضوضاء والدماء فى كل مكان ، وأن استخدام الأسلحة البيضاء أكثر أناقة .. خنجر أثرى مطرز مثلاً .. هذه أداة قتل أفضل بمراحل ، لكنها لا تناسبنى بالمرة ..

بالطبع لم أكن أسعى للحصول على مسدس بالطرق القانونية ، فأنا لا أريد لفت الأنظار لى فى هذه المرحلة ، أى أننى كنت أتحدث عن الطرق السفلية وغير الشرعية للحصول على أسلحة فى بلد راق مثل باريس ..

ولكن ، هناك نصيحة مجانية جديدة أقدمها ، حتى تصبح لقصتى فائدة تربوية !!

رجل الشرطة هو رجل الشرطة فى أى مكان .. والمجرم هو المجرم فى أى مكان .. النسق النفسى واحد ، وإن اختلفت الحضارة واللغة والديانة .

كيف تحصل إذن على مسدس فى قلب باريس .. أعرف أن هذه النقطة غير تربوية ، لكنى هنا لأحكى لك ما حدث ، لا لأقدم لك أفضل طرق تربية ابنك !!

ذهبت إلى أحقر حانة وجدتها فى الحى اللاتينى ، فى ساعة متأخرة من الليل ، وهناك طلبت كوبًا من الجعة الرخيصة ـ أنا لا أشرب ، لكنه إتقان الدور ـ وأخذت ألوح به فى الهواء وسط السكارى ، وأنا أردد معهم بعض الأغانى الفرنسية الرقيقة ..!!

هكذا اندمجت وسطهم ، وهنا يجب أن أذكر لك أن الفرنسيين حين يثملون ، قد يندمج وسطهم نصف الجيش الألمانى دون أن يلاحظوا شيئًا .. المجد لفرنسا !!

اخترت أضخم رجل فيهم والذى يحمل وجهه مجموعة من الندوب تشى بكم الشجارات التى دخلها ، وخرج منها بخسائر فادحة .. لم يكن ثملاً تمامًا كالباقين ، لكنه كان منتشيًا مبتهجًا يردد الأغانى الفرنسية بصوت أجش ، فاقتربت منه ، لأهتف بصخب :

ـ هيه .. ليلة طيبة ..

ـ بالطبع ..

ـ كنت أريد أن أسأل عن شخص ، ربما تعرف طريقه ..

توتر وجهه وهو ينتظر سؤالى ، فملت عليه لأدس حفنة من الأوراق المالية فى جيب سترته ، وأنا أهمس فى أذنه :

ـ صديقى يدعى (بريتا) مع ثلاث خزانات إضافية ..

هنا لاحت ابتسامة خبيثة على ملامح الفرنسى الضخم ، وهمس :

ـ لكن الطريق إليه مكلف حقًا ..

ـ حين نصل إليه تحصل على الباقى ..

وهكذا تم الاتفاق السريع بنجاح ، وبعد دقائق كنت أتبعه عبر أغرب حارات باريس ، وأكثرها إظلامًا ..

وبعد ساعة واحدة كنت قد عدت إلى فراشى فى ذلك الفندق الحقير ، لأدس سلاحى الجديد أسفل الوسادة ، قبل أن أتمدد على الفراش ..

الآن أنا مستعد ..

فى انتظار اتصال الكونت (فرانسوا) إذن ..

* * *

فى ظهر اليوم التالى ، تلقيت اتصال الكونت (فرانسوا) فى الفندق الذى انتقلت إليه .. بالطبع لم أكن قد أخبرته بشىء عن الفندق ، وبالطبع لم يشكل هذا عائقًا بالنسبة له ..

أخبرنى أن اللقاء هذه المرة سيكون فى حديقة (تويلورى Tuileries) فى تمام السادسة مساءً ، مما يمنحنى الوقت الكافى لتناول وجبة خفيفة ، ثم تبديل ملابسى ، والتحرك ..

حديقة (تويلورى) .. هذا الرجل ينتقى أماكن للقاء ، لا تصلح إلا لقصة رومانسية تدور بين مراهق يتعذب وحسناء تهوى التضحية ..

من يتخيل رجل مخابرات عجوز وضابط سابق شاب يجلسان فى حديقة (تويلورى) ، ليتحدثا عن طبيب مجنون يريد نشر الفوضى فى العالم ؟!!

حين التقينا ، كان القلق واضحًا فى ملامحه ، وحين جلسنا على أحد المقاعد وسط الطبيعة التى يزحف عليها الغروب ، بدأ الكونت (فرنسوا) يتحدث بصوت خفيض ، يطل منه التوتر بوضوح :

ـ لقد توصلت إلى معلومة فى غاية الأهمية .. صديقك (مجدى) يعيش تحت هوية مستعارة .. عدة هويات فى الواقع ، لكنى استطعت تحديد أحد الأمكنة التى يسكنها ..

إذن فلقد توصلنا إليه أخيرًا .

ـ الأمر ليس بهذه السهولة .. المكان الذى أحدثك عنه ، هو الطابق الأخير فى واحدة من أشهر بنايات باريس .. سيكون هناك عشرات الشهود ..

ـ دع هذا لى .. أنا أعرف ما الذى ينبغى علىَّ فعله ، فقط أعطنى العنوان ..

ناولنى ورقة مطوية ، فألقيت عليها نظرة خاطفة ، ثم دسستها فى سترتى .. لقد حفظت العنوان على كل حال ..

وأخذ (فرانسوا) يردِّد :

ـ إنه لا يذهب إليها إلا فى مواعيد محددة لكنه يستخدم جهاز إنذار حديث يعتمد على إرسال إشارة إنذار ، إلى هاتفه المحمول ، لو حاول أحدهم اقتحام المكان .. وهذا ما سيحدث وهذا ما سيدفعه للمجىء .

وأخذ ينظر إلىَّ ليرى تأثير كلامه علىَّ ، لكنى سألته بغتة :

ـ أنت لاتعمل مع المخابرات الفرنسية فى هذا .. لقد كنت تمول مشروع (مجدى) لحسابك ..

منحنى الكونت نظرة طويلة صامتة ، لم تتغير فيها ملامح وجهه لحظة ، قبل أن يقول باقتضاب بارد :

ـ أمامنا عمل لننهيه .. سأساعدك فى الحصول على (مجدى) ، وستساعدنى أنت على تدمير مخططه .. أى شىء خارج هذا النطاق ، لايهم ولا يخص أحدًا .. أى أحد ..

ـ وما الذى أدراك أنه سيستسلم لى بسهولة ؟! حتى لو قبضت عليه ، لن نحصل منه على حرف ..

ـ اقبض أنت عليه ، وأحضره لى .. ثم سأتولى أنا عملية استخراج المعلومات منه ..

ـ تريد الحصول على ما دفعت ثمنه ..

ـ بل أريد وقف الكارثة القادمة .. ألا تعتقد أننى سأدفع ثمن نجاحه ، لو نجح ؟!

ـ لماذا لاتقتله وينتهى الأمر كله ؟!

ـ لأننا لانعرف كيف سينفذ مخططه ... يجب الحصول عليه حيًا .. يجب أن نعرف ما فى جعبته من أسرار ..

إنه على حق .. يجب الحصول على (مجدى) حيًا .. يجب أن أقاوم رغبتى العارمة لقتله ، انتقامًا لكل ضحايا تجربته ..

لكن .. لكنى وأنا أفكر كيف هرب منى .. وأنا أفكر أى قدرات تلك التى قد يمتلكها الآن ، أتساءل ..

هل يمكن الحصول عليه حيًا كما نريد ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

١٠

وأخيرًا ظهر (مجدى) !!

كنت أقف أمام تلك البناية فى ذلك الحى الراقى فى باريس ، منذ ثلاث ساعات أنتظر قدوم الوغد على أحر من الجمر ، بينما سيارة الإسعاف تنتظر بالقرب من المبنى وفقًا للمخطط الذى وضعه (فرانسوا) ، وكنت قد بدأت أشعر باليأس من قدوم (مجدى) المنتظر ، حتى إننى كدت أترك المكان كله ، حين ظهر هو بغتة ..

خرج من سيارة أجرة قرب المبنى ، وقد ارتدى معطفًا أسود اللون ، وقبعة عريضة ، أرخاها على نصف وجهه العلوى ليخفى ملامحه ، لكننى تعرفته على الفور ..

تعرفت وقفته .. مشيته .. الطريقة التى نظر بها إلى المبنى قبل أن يعبر من المدخل .. هذا هو (مجدى) ..

هذا هو صديق الطفولة ، ومدمر حياتى إلى الأبد ..

شعرت بالدماء تلهب عروقى حين رأيته ، فمددت يدى لأتأكد من مسدسى فى جيب المعطف الذى أرتديه .. وانتظرت لدقيقة ، حتى أمنحه الوقت الكافى للصعود إلى شقته ، ثم تبعته إلى الداخل بلا تردد ..

(مجدى) .. (مجدى) .. (مجدى) ..

ها قد حان وقت اللقاء .. وهذه المرة ، لن تهرب منى ..

أخذت المصعد الثانى ، وصعدت لأتوقف فى الطابق قبل الأخير ، حيث شقة (مجدى) ، ثم أخذت أصعد بحذر على الدرج ، متجهًا إليه ..

لابد أنه دخل الآن ليجد كل شىء على ما يرام .. لابد أنه شعر بالخدعة . لابد أنه الآن سيلوذ بالفرار ، ليجدنى فى انتظاره ..

لكنى ولدهشتى ، لم أسمع أى صوت قادم من شقته ، فواصلت صعودى بحذر بالغ ، حتى وصلت أمام شقته ، ومزيج عجيب من المشاعر يعتمل فى أعماقى .. مزيج عجيب ، وأعجب ما فيه أن الخوف كان الطابع الغالب عليه !! .. لسبب ما أنا خائف من هذه المواجهة ؟!!

وصلت إلى باب الشقة فمددت يدى لأمس الباب ، وأنا أخرج مسدسى باليد الأخرى ، و ... و ...

ولكن ما إن مست يدى باب شقته ، حتى شعرت كأن قنبلة انفجرت فى جمجمتى .. واندفعت الصور إلى رأسى بغزارة غير مسبوقة ..

صور لما يحدث داخل الشقة الآن .. !!

رأيت (مجدى) يجلس داخل صالة شقته ، على أريكة جلدية ، يقرأ فى أحد الصحف باستمتاع تام ، كأنه يملك الوقت كله ، ولا يوجد ما يشغل باله !!

رأيت هذا بوضوح تام ، لكن الألم فى رأسى كان يتضاعف ، على نحو دفعنى للتراجع إلى الخلف ، وقد تغلب ذهولى على أى شعور آخر أشعر به ..

كيف ؟؟ !!

كيف رأيت ؟ !!

أهذه أحد قدراتى ؟ !! لماذا لم تظهر قبل الآن ؟ !!

لكن ... لا ... لا وقت .. لننته من هذا أولاً ..

وهكذا استجمعت مشاعرى كلها فى ركلة سددتها لباب الشقة ، فانفتح بدوى لا بأس به ، فقفزت إلى الداخل شاهرًا مسدسى بعصبية ، لأجد (مجدى) ينتظرنى على أريكة جلدية مريحة ، يتصفح (اللوموند) باستمتاع تام !!

وما إن رآنى حتى ابتسم بثقة ، ليقول :

ـ (سامى) .. إذن فأنت صاحب هذه الخدعة الساذجة ؟؟ تفضل ..

غالبت عاصفة الأفكار والمشاعر التى تزأر فى رأسى ، لأهتف ، وأنا أسدد مسدسى لرأسه بدقة :

ـ (مجدى) .. ها أنت قد اسقطت أخيرًا ..

صحيح أننى قلتها ، لكن السخرية الواضحة التى لاحت فى وجه (مجدى) ، جعلتنى أشعر أن قولى هذا أبعد ما يكون عن الصحة ..

أشار (مجدى) بيده ، قائلاً بذات الهدوء المستفز :

ـ لماذا لا تترك هذا المسدس وتجلس ؟؟ سنتحدث قليلاً ، ثم سيمضى كل منا فى طريقه ..

ـ كف عن الهراء .. إنك لن تهرب هذه المرة ..

ـ وهل تكتسب ثقتك هذه من المسدس الذى تحمله ؟!

ـ ما الذى تعنيه ؟!

ـ أعنى أننى أعرف أنك تعرف .. أنت لن تجرؤ على استخدام هذا المسدس .. فى الواقع أنت غير قادر على إيذائى بالمرة ..

كنت أرتجف رغمًا عنى ، لكنى هتفت :

ـ لن تخدعنى بهذا الهراء ..

مال (مجدى) علىّ، ليقول وهو يبتسم بهدوء ساخر:

ـ لماذا لاتجرب ؟! .. حاول أن تطلق علىّ رصاصة واحدة .. لا داع لأن تقتلنى .. أطلقها على ساقى لو أردت .. هيا حاول، حتى أنتهى من قراءة هذا المقال ..

أخذ ارتجافى يتزايد، وأنا أشعر بشىء ما فى أعماقى يمنعنى من الحركة، فظللت على هذا الوضع جامدًا، عاجزًا عن ضغط الزناد، كأنما فقدت التحكم فى أطرافى، بينما واصل (مجدى) قراءته، كأنه يجلس فى (الشانزلييه) ..

وأخذت أرتجف .. وأرتجف .. وأرتجف ..

كيف ؟؟ لماذا ؟!! ما الذى أصابنى ؟؟ !

انتهى (مجدى) من قراءة مقاله، فنهض بهدوء، لينتزع المسدس من يدى، دون أن يلقى أى مقاومة منى، وطوّحه بعيدًا، ثم عاد ليجلس مكانه، بينما أخذ ارتجافى يقل تدريجيًا، وأنا أجاهد حتى لا تسيل الدموع من عينى ..

ما الذى أصابنى ؟؟ !!

تحدث (مجدى):

ـ اجلس لنتحدث قليلاً، ولا تلم نفسك .. لقد زرعت فيك

فكرة عدم التعرض لى بأذى، حين كنت تحت تأثير التجربة .. لذا لا داعى لإضاعة الوقت ..

ـ لكنى لن أسمح لك بالخروج من هنا ..

ـ حتى هذا لن تستطيعه .. هه أخبرنى .. هل قابلت زوجتك الفرنسية ؟

ـ أنت وغد .. وغد حقير ..

ضحك (مجدى) من قلبه، قبل أن يقول:

ـ وغد لأننى خلصتك من زوجتك المصرية، وأبدلتها بهذه الفرنسية الحسناء .. هل تحاول خداع نفسك ؟

ـ أنت دمرت حياتى ..

ـ لِمَ لا ؟! .. لقد أعطيتك حياة أفضل فى المقابل .. عمل أفضل .. جسد أفضل .. عقل أفضل ..

ـ عقل لا أملكه ..

ـ ليس بعد .. لكنها مسألة وقت لا أكثر .. هل بدأت تتعرف على قدراتك الجديدة، أم أن الوقت لا يزال مبكرًا ؟!

ـ ستدفع ثمن هذا كله يا (مجدى) ..

- ومن سيجبرنى على هذا ؟! بعد يومين بالضبط سأتحول إلى شخص فوق كل القوانين الدولية ، وكل الأنظمة .. لن يستطيع أحد المساس بى ..

- أنا أعرف مخططك .. أعرف أنك ستحاول تفجير المفاعل النووى الفرنسى .. مرة أخرى انفجر (مجدى) فى الضحك ، حتى دمعت عيناه ، ثم قال وسط ضحكاته :

- أفجر ماذا ؟؟ هاها .. أهذا ما ظننته حقًّا ؟ !! ألم أقل لك أنك تسرف فى مشاهدة الأفلام من قبل .. كنت دائمًا تود أن تمثل فى السينما ، وها أنت الآن تحاول صناعة فيلمك الخاص ، لتكون بطله ..

- لكن أليس هذا ما تخطط له ؟! نشر الفوضى ؟!!

- نعم .. لكن ثمة طرق أكثر رقيًا للحصول على هذا .. أنا لست قائد عصابة لو كنت تظن هذا ..

- الآن تدعى الرقى .. بعد كل الدماء التى سالت ، وبعد كل الجرائم التى ارتكبتها ، والتى دفعتنا لارتكابها .. يا لك من صفيق ..

- قلت لك إنها خسائر ضرورية لنجاح المنظمة .. أى نجاح له ثمن .. وقريبًا ستدرك هذا .. قريبًا سيدرك العالم كله هذا ..

كان ارتجافى قد توقف ، وبدأت أستعيد السيطرة على نفسى ، فجلست أمامه ، لأقول وأنا عينى فى عينيه :

- لكنك تعرف أننى لن أتركك .. سأظل وراءك لأحطم كل خططك ..

- افعل ما فى وسعك .. كما قلت لك ، المنظمة لا تتوقف علىّ .. ربما يكون دورى هو تنفيذ الخطوة الأولى ، لكنى لن أكمل المخطط كله بمفردى ..

- إذن ، فخطوتك الأولى هذه لن تتم ..

- ومن معك لتوقفنى ؟! العجوز (فرانسوا) ..

- لا أحتاج لأحد ..

تراجع (مجدى) فى مقعده ، وأسند وجهه على راحته ، وهو ينظر إلىّ مبتسمًا ، ليغمغم :

ـ مازلت كما أنت يا (سامى) .. منذ حداثتنا وأنت أكثرنا عنادًا ..

أجبت بقسوة :

ـ ومنذ حداثتنا وأنت المعقد النفسى الذى يعذب نفسه بلا هوادة ولا رحمة .. دائمًا ما كنت تضع القوانين والنظم ، لترهق نفسك أكثر .. والآن أنت تريد أن تنتقم مما فعلته فى نفسك ..

ـ كنت أظن أننى الطبيب النفسى .. لكن تحليلك خطأ يا عزيزى .. صدقنى .. حين تمارس الطب النفسى ، وترى كم القبح الإنسانى ، ستجد نفسك مدفوعًا لتتساءل عن سبب هذا القبح ، وعن إذا كانت هناك طريقة للتخلص منه ..

ـ وتحطيم الأنظمة هو الذى سيحل هذه المشكلة ؟!

ـ ربما لا .. لكنه سيعطيكم الفرصة .. أنتم تسيرون كأحصنة الجر ، التى يضعون عصابة على عينيها حتى لا ترى إلى أين هى ذاهبة ، لكنها فى نفس الوقت ، لا تتوقف عن الحركة مع كل لسعة سوط .. ما سأفعله ، هو أننى سأنزع

عنكم هذه العصابة ، وسأترككم ترون بأنفسكم حجم الهاوية التى وصلتم إليها ..

ـ ستثير العالم كله عليك .. لن أطاردك وحدى حينها ، بل العالم كله ..

ـ سأكون مستعدًا .. والآن ..

ونظر إلى ساعته ، وهو يخط بعض الكلمات على الصحيفة التى يقرأها ، ليقول :

ـ أنا فى حاجة للتخلص منك الآن كما تعرف ؛ لذا سأخبرك بشىء ما .. أنت تعرف المطعم الذى تعمل فيه زوجتك الفرنسية .. بعد ربع ساعة من الآن ستستلم طردًا مرسلاً إليها ، ويحمل اسمك ، وبالطبع ستفتحه .. إنه يحمل اسمك ، والمرأة التى فتحت صندوق بندورا ، لن تمانع فى فتح طرد من زوجها ، حينها .. بووووم .. ستتحول إلى أرمل يا عزيزى ، ما لم تنقذها ..

حدقت فيه ذاهلاً عاجزًا عن النطق ، وقد فقدت حتى القدرة على التفكير ...

هل هذا ما كنت أسعى إليه ؟! أواجهه ليهزمنى ، ثم يضعنى فى هذا الموقف المعقد ؟ !!

ما الذى يحدث ؟؟

ـ أنصحك أن تسرع فالمطعم ليس بقريب ..

قالها (مجدى) مبتسمًا بسخرية قاتلة ، فلم أجد أمامى إلا أن أمنحه نظرة مقت ، والغضب يجرى فى عروقى مكان الدم ؛ لأقول متوعدًا :

ـ سنلتقى مجددًا .. أعدك بهذا ..

ـ سأكون فى انتظارك .. وأبلغ (فرانسوا) أنه لن ينجو من عقابى ..

وبمرارة غادرت الشقة لأسرع هابطًا إلى أسفل ، بأقصى ما أوتيت من سرعة ..

لماذا ذهبت لأنقذ (جين) ؟! حسنًا لأنها امرأة .. ولأنها زوجتى ..

لم أكن أحتمل أن أتركها تنفجر ، وأظل أنا أقف عاجزًا

أمام (مجدى) ، فلا زالت غريزة رجل الشرطة ، فى أعماقى تحركنى ، رغم كل شىء ..

وهكذا لك أن تتخيل دهشة سائق سيارة الإسعاف الذى كان فى انتظارى طيلة هذا الوقت ليجدنى أندفع من المبنى ، متجهًا له لأقول :

ـ معذرة ..

وقبل أن يفهم ، كنت قد أزحته من على المقعد ، لأحتل مكانه .. أشغل المحرك .. أنطلق بصرير مدوى ، وقد استعاد رجل (فرانسوا) القدرة على النطق ، ليصرخ ، وأنا أبتعد بسيارة الإسعاف :

ـ هييه ... توقاااف !!

لكنى شغلت سارينة السيارة بأعلى صوت ممكن ، لأزيح السيارات من طريقى ، منطلقًا بأقصى سرعة سمح بها حجم سيارة الإسعاف ، متجهًا إلى المطعم الذى تعمل فيه (جين) ..

ربع ساعة خسرت منها خمس دقائق حتى الآن ، وهذا

يعنى أن أمامى عشر دقائق لأصل إلى المطعم .. حتى لو فعلتها ، كيف سأنقذ الموقف حينها ؟؟!

أنا لا أعرف شىء عن إبطال القنابل !!

لا بأس .. لنصل أولاً ، ثم سيحين وقت الارتجال ، لكن الشارع اللعين لا يريد أن يتحرك !!

بدأت أضغط على بوق السيارة ، لأضيف مزيدًا من الضوضاء ، فبدأت السيارات تبتعد عن طريقى فى فزع حقيقى ، وبدأت سرعتى تتزايد ..

باقى ثمانى دقائق ..

أنا أعرف بعض الطرق المختصرة ، لكن هل سيكفى هذا ؟!!

بحسم قررت الاتجاه عكس السير ، ليبدأ المرح الحقيقى ..

سبع دقائق ..

بدأت أسمع صفير سيارات شرطة ، وقد قررت اللحاق

بى من باب استكشاف الموقف ، ليتحول الأمر إلى مطاردة شرسة ، كان هذا ما كان ينقصنى ..

ست دقائق ..

بعد يومين سيصبح (مجدى) فوق كل القوانين والأعراف .. بعد يومين سينفذ مخططه الرهيب ، فما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

لأركز على الطريق ..

خمس دقائق ..

ها هو المطعم يقترب ، لكن الجسر مزدحم بحق ، ولن أجد الوقت الكافى إلا لو ...

ها أنا أترك السيارة ، لأبدأ فى القفز فوق أسطح السيارات ، على الجسر متجهًا إلى المطعم ، وقد بدأت أخيرًا أشعر بفائدة التمارين التى دفعنى (مجدى) للقيام بها ..

أربع دقائق ...

أكاد أقترب من المطعم ، لكنى أسمع سيارات الشرطة من خلفى تقترب .. متى سيبدءون فى إطلاق النار ؟!!

ثلاث دقائق ..

أقتحم المطعم كمجنون ، لأسرع إلى حيث وقفت (جين) قرب المطبخ ، وهى تحمل ذلك الطرد الضخم بكلتا يديها ، لأختطفه منها ، ولتطلق هى صرخة دهشة مذعورة ..

دقيقتان ...

أندفع إلى باب المطعم الخلفى .. أنا أحمل القنبلة الآن ، لكنى لا أعرف كيف سأتصرف بها .. أرجوك يا إلهى أنقذنى .. أرجوووك .

دقيقة ..

أصل إلى الزقاق خلف المطعم ، فألمح حاوية القمامة المعدنية ، فلا أضيع الوقت فى التفكير ، بل ألقى بالطرد داخلها ، ثم أندفع بأقصى ما أوتيت من سرعة ..

يدوى الإنفجار ..

الدوى الهائل يرج جمجمتى ، واللهب يلفح ظهرى ، والموجة التضاغطية ، تنسف زجاج النوافذ ، لينهمر الزجاج علىّ كالمطر ، ويطير جسدى قليلاً قبل أن أهوى وسط الشظايا ..

لكنى ـ وبمعجزة ! ـ أنجو ..

حاوية القمامة امتصت معظم الانفجار كما تمنيت ..

أقوم ببطء والآلام تنتشر فى أنحاء جسدى .. لقد نجوت هذه المرة بحق ..

(مجدى) .. (مجدى) .. (مجدى) .

لن أتركك إلا وأنت جثة هامدة !!

★ ★ ★



بالطبع هربت يومها قبل وصول الشرطة ، فلم أكن أريد أن أقضى ما تبقى لى من عمر فى التحقيقات والاستجوابات .

حتى لو أخبرتهم (جين) بهويتى ، فلن يجدونى .. سيبحثون عن (أكرم رشوان) الذى لا وجود له ، وحتى لو ذهبوا إلى السفارة ، لن يصلوا إلى شىء ..

أنا لن أتوقف ، حتى أمسك بجثة (مجدى) بين يدى .. لن أتوقف ، ولو دفعت حياتى ثمنًا لهذا الهدف ..

ولكن كيف ؟؟ !

إننى الآن لا أعرف أين هو ، وحتى لو وصلت إليه ، فأنا عاجز عن إيذائه ..

كيف سأقتل (مجدى) حتى لو كان واقفًا أمامى ؟؟!!

كيف ؟ !!

* * *

الفصل الثالث

أشياء أسوأ تحدث!!



كان اللقاء الثالث مع الكونت (فرانسوا) فى غرفتى فى الفندق ، فلم أكن لأخاطر بالظهور فى أماكن عامة ، كما أننى سئمت الأماكن التى ينتقيها ذلك الرجل ، كأننى حبه القديم ..

جاءنى وهو يتميز غيظًا ، وأخذ يدق الأرض بعصاه العاجية ، وهو يصرخ :

ـ لماذا أنقذتها ؟! كان يجب ألا تتركه يهرب مهما كان الثمن ..

ـ وما الذى فعله رجلك إذن ؟! لقد رآنى أهرب ، فلماذا لم يتدخل هو ؟!

ـ ومن قال لك إنه لم يفعل ؟! لقد صعد إلى شقة الدكتور (مجدى) ليقبض هو عليه ، لكن الوغد كان قد هرب بالفعل .. كل هذا لأنك تركت العالم كله ، وأسرعت لإنقاذ امرأة لا تعرفها حتى ..

ـ إنها زوجتى !!

ـ هل تمزح ؟!! إننا فى كارثة .. كارثة ..

ثم إنه جلس متأففًا على الأريكة الوحيدة فى الغرفة ، وأسند ذقنه على قبضته ، ثم لاذ بصمت دام لعشر دقائق ، قال بعدها بهدوء نسبى :

ـ على كل حال لاداع لنفقد أعصابنا .. ما الذى عرفته منه بالضبط ؟!

أجبت بضيق :

ـ إنه لن يفجر المفاعل النووى كما كنت تظن .. وأنه يعرف أنك معى .. وأنه يخطط لضربة قوية ، ستتم غدًا مالم نوقفها ..

ـ ولا توجد لديك فكرة عن طبيعة هذه الضربة ؟!

ـ لا ..

ـ رائع .. لنفكر بطريقته إذن .. إنه يريد الإعلان عن منظمته ، وهذا يعنى أن هدفه سيكون إعلاميًا بالدرجة الأولى .. ربما سيتعلق أيضًا بشىء سيحدث غدًا ..

ـ شىء مثل ماذا ؟!

ـ احتفال ما .. زيارة أحد .. حدث ما سيكون غدًا .. المشكلة أنه لا يوجد شىء فى ذهنى ، يتعلق بالغد على الإطلاق .. إننا فى فرنسا ، وهناك عشرات الأشياء التى تحدث كل يوم ، لكن لا يوجد بينها شىء محدد أعتقد أنه يصلح ..

سألت وأنا أشعر بما يشعر به من قلق :

ـ وما الذى سنفعله إذن ؟!

تنهد هو ، قبل أن يقول بأسف :

ـ سننتظر حتى يبدأ ضربته ، ثم سنسعى إليه .. لقد خسرنا هذه الجولة حتى قبل أن تبدأ ..

ـ ثمة مشكلة أخرى .. أنا لا أستطيع قتله ، أعتقد أنه عبث بعقلى أثناء التجربة .. صرخ (فرانسوا) وقد فقد أعصابه مجددًا :

ـ ماذا ؟!! ما الذى سنفعله إذن ؟!!

ـ حتى الآن .. لا أعرف ، لكن لابد أن هناك حل ما .. الأمر لن ينتهى بهذه الصورة .. لكنها مشكلتى على أية حال ، وسأتصرف أنا لحلها ..

نعم يجب أن أتصرف ..

ولكن .. كيف ؟!

★ ★ ★

اليوم التالى كان باردًا بصورة لا تصدق ، كأن الطقس أراد أن يشاركنا رهبة الموقف ..

كنت أجلس مع الكونت (فرانسوا) فى سيارته ، فى أحد ميادين باريس ، ولم أكن قد حظيت بالنوم ، منذ ليلة أمس التى قضيتها فى تجارب لا تنتهى ، وكنا ننصت إلى إذاعة باريس المسماة (راديو 4) ، فى انتظار أى جديد ..

خطتنا ـ التى تبدو ساذجة ـ هى أننا سننتظر حتى يقوم (مجدى) بخطوته الأولى ، ثم سنسعى لتحديد موقعه ، لنهجم عليه .. وهذا يعنى أننا نراهن على حسن حظنا لا أكثر ، لكننا لم نكن نملك ما هو أفضل من النوايا الطيبة ..

قلت لك إننا كنا ننتظر أن يبدأ (مجدى) خطوته الأولى .. لكن ما حدث هو ..

★ ★ ★

حاول أن تتخيل اللقطات التالية معى على أنها جزء من فيلم تسجيلى .. حاول أن تراها من عين كاميرا فيديو ديجيتال ، حيث تبدو الصور مزيجًا من الواقع والخيال ، ولا يوجد ما يقنعك بطبيعية ما تراه سوى اهتزاز الكاميرا المستمر مع الحركة ..

نحن الآن فى حديقة (تويلورى) ، لكننا هذه المرة سنتجه إلى اليمين قليلاً لنتجه إلى متحف (أورساى Musee d'Orsay) الشهير ..

هذا المتحف كان محطة قطار فى يوم من الأيام ، وفى عام ١٩٠٠ اقترح الرسام (إدوارد إيتاى) أن يستبدلوا هذه المحطة بمتحف المدينة ؛ لأنه أجمل بكثير ، و أليق بأن يكون متحفاً عن المتحف ذاته ، وتحولت سخريته هذه إلى حقيقة عام ١٩٨٦ حيث تحولت المحطة إلى متحف ، يقصده كل من يبحث عن لوحات الفن الانطباعى(*) ، أو من يبحث عن مكان أنيق ليحتسى القهوة فى المطعم الشهير الملحق بالمتحف ..

نحن الآن نقف عند مدخل المتحف ، حيث يقف رجال الأمن بملابسهم الزرقاء ، تلك الوقفة المتراخية المعتادة .. نحن فى فيلم تسجيلى ؛ لذا لا نتوقع أن تهجم عصابة ملثمة على المكان لتسرق كل ما فيه ، بل كل ما سنركز عليه ، هو مدير الأمن الذى يصغى لشىء ما عبر جهاز اللاسلكى ..

نقترب أكثر لنسمع الصوت الممتزج بالشوشرة الإستاتيكية ، يقول :

(*) لا يعرف المؤلف أى شىء عن الفن الانطباعى !

- (كلود) .. انشر الرجال فى هدوء وصمت عبر المتحف .. جاءنى اتصال يقول إن هناك قنبلة فيروسية فى المكان .. يجب إخلاء المتحف ، لكن بهدوء ونظام ..

بالطبع نحن نرى التوتر والانفعال وعدم التصديق على ملامح مدير الأمن ، ونراه يتجه إلى غرفة الأمن ، ليتحدث مع بعض رجاله همساً ، ثم نراه يمسك بالميكرفون الداخلى ، ليقول :

- نعتذر للسادة الزوار عن إغلاق المتحف مبكراً هذا اليوم .. لذا نرجو من الجميع التوجه إلى باب الخروج .. أكرر .. نرجو من الجميع التوجه إلى باب الخروج ..

تتصاعد تعليقات الدهشة والاستنكار من بعض زوار المتحف ، ويتجه بعضهم إلى باب الخروج ، فى حين يتلكأ البعض الآخر ، وقد بدأ رجال الأمن ، دفع الجميع للمغادرة ، بنوع من العصبية ..

وفجأة يسمع الجميع صوت انفجار مكتوم صادر من السقف ، فترتفع كل العيون لترى تلك الزجاجات التى تهوى من أعلى ، لتتهشم على الأرض الرخامية ، لينتشر ذلك السائل الشفاف على الأرضية ..

نرى كل هذا عبر الكاميرا ، ونرى الزوار وقد ازدادت سرعة

توجههم للمخرج ، لكن صوت مدير المتحف ، يدوى فى جهاز اللاسلكى الذى يحمله (كلود) ، الذى كان يقف أمام الميكرفون الداخلى ، فى تلك اللحظة بالذات ..

وعبر ميكرفونات المتحف ، يسمع الجميع التالى :

- كلود .. لاتسمح لأحد بالخروج .. سينتشر الفيروس إلى الخارج ..

هنا تتصاعد الشهقات من الجميع ، وبعض الصرخات المذعورة ، وهنا يتخلى الفرنسيون عن وقارهم المعتاد ، ويبدءون فى الاندفاع نحو المخرج بلا انتظام ، كما هى العادة فى مثل هذه المواقف ، فلايجد (كلود) أمامه سوى تشغيل جهاز الأمن ، لتهبط تلك الأبواب المعدنية على جميع المخارج ، ليصبح كل من فى المتحف أسيرًا فى الداخل ..

تهتز الكاميرا أكثر ، وهى تنقل لنا حالة الهياج التى أصابت الجميع .. من فى الداخل يحاولون الخروج ، ورجال الأمن يحاولون منعهم ، والصرخات تتعالى أكثر فأكثر مع مرور الوقت ، ويحاول البعض الهجوم على غرفة الأمن ، فلايجد (كلود) مفرًا من أن يستخدم مسدسه ليطلق رصاصة تحذيرية فى الهواء ..

وكان هذا أكبر خطأ ارتكبه (كلود) ..

فمع دوى الرصاصة ، تحولت حالة الهياج ، إلى ثورة هائلة ، وقد بدأ الجميع فى الهجوم على كل شىء ..

الأبواب المعدنية .. رجال الأمن .. اللوحات .. الزوار ..

كل هذا اختلط فى ثورة فوضوية عارمة ، وتعالت الصرخات وتعالى معها دوى الرصاصات ، وقد بدا لرجال الأمن ، أنه لم يعد أمامهم حل بديل ..

ومع سقوط أول ضحية ، تحول الأمر إلى مذبحة ..

كل هذا نراه عبر الكاميرا التى تسقط أرضًا ؛ لتنقل لنا عشرات الأقدام تجرى هنا وهناك ، و بعض الدماء تلطخ عدسة الكاميرا ..

* * *

المشهد الثانى لهذا الفيلم التسجيلى ، سيكون أمام بنك فرنسا المركزى ..

هذه المرة نرى الحراسة المشددة أمام البنك ، ونرى من على بعد ، السيارات المصفحة التى تنقل ملايين الفرنكات تقترب ، يحيط بها فريق أمنى كامل ..

هذا يوم نقل الأموال إلى خزانة البنك ، الذى يعد من أكثر بنوك العالم أمانًا وشهرة ..

كنت أتمنى أن أشرح لكم بعض التفاصيل المهمة ، بما أننا فى فيلم تسجيلى على كل حال ، لكن الأحداث توالت بسرعة هذه المرة ، دون أن تترك لنا الفرصة ، إلا لنقلها بأمانة تامة ..

فجأة .. توقف شخص ما بسيارته أمام القافلة المتجهة للبنك ، بصورة سدت الطريق أمامهم ، ليترك سيارته ، ويعدو مبتعدًا عنها بسرعة ..

صحيح أن فريق الأمن المحيط بالقافلة ، مدرب على تنفيذ العديد من الخطط فى حالة أى هجوم متوقع ، وأول هذه الخطط هى التراجع مع ترك جزء من الفريق الأمنى لتعطيل الهجوم ، والاتصال بقوات الأمن الجمهورى للتدخل ، لكن الأحداث ـ وكما أخبرتك ـ توالت بسرعة لا تصدق ..

انفجرت السيارة التى تسد الطريق فجأة بدوى هائل ، وارتفعت منها النيران والأدخنة ، لتنطلق أبواق الإنذار من عربات فريق الأمن ، وأطاح الانفجار بمن هم فى المقدمة ، وأثار حالة لا بأس بها من الهرج ..

وقبل أن يعى أحد الموقف بالضبط ، كانت الانفجارات تتوالى هذه المرة ، ولكن من عربات الأمن ذاتها !!

فجأة أخذت عربات الأمن تنفجر ، واحدة تلو الأخرى ، و أصبحت العربات المصفحة التى تحمل النقود ، محاطة بالحطام واللهب والجثث .. ثم أخذت هذه الأخرى فى الانفجار ..

بصورة ما انفجرت جميع هذه السيارات ، وتصاعد اللهب والصراخ من كل مكان ، لكن الانفجار الأخير ، دفع بالأوراق المالية فى الهواء ، لتطير فى كل اتجاه ..

ملايين الفرنكات تذروها الرياح ..

من صرخوا من الانفجارات وقفوا ذاهلين أول الأمر ، وبعضهم ابتعد هلعًا ، لكن من رأى النقود المتطايرة ، لم يأخذ وقتًا طويلاً فى اتخاذ قراره ..

اقترب واحد لجمع ما يمكنه من هذه الغنيمة السهلة .. ثم انضم ثان .. فثالث .. ثم عشرة .. ثم عشرات ..

وتحول الأمر إلى فوضى حقيقية ..

الفرنسيون نسوا الجثث والدماء والنيران ، واندفعت الجموع مسعورة ، تريد أن تجمع أكبر قدر ممكن من النقود التى لا تزال الرياح تعبث بها ، وتلقى بها هنا وهناك ..

وحين وصلت قوات الأمن الجمهورى ، كان الأمر قد خرج عن نطاق السيطرة بالفعل ، ولم يعد استخدام التفاهم مجالاً للمناقشة ..

اندفعوا بهراواتهم الغليظة ، ليفرقوا الجمع المسعور ، فسالت المزيد من الدماء ، وازداد حماس القوم ..

فوضى .. فوضى .. فوضى ..

هذا تنقله لنا عدسات الكاميرا الآن ، قبل أن تهوى عليها أحد هراوات رجال الأمن ، لتهشمها تمامًا ..

★ ★ ★

تنتقل بنا الكاميرا هذه المرة إلى مقر اللوموند الجديد ..

المقر عبارة عن مبنى أنيق فى حى (فاندوم) جوار المركز التجارى الشهير ، ونرى بعين الكاميرا مجموعة من الصحفيين والمسئولين ، وقد تأنقوا على أكمل وجه ، ليحضروا هذا الحدث الجلل ، وهم يصفقون لأنفسهم ، بعد أن يتكرم كل واحد منهم بإلقاء كلمة أمام فريق التلفزيون الذى جاء ليصور هذا الحدث ..

المبنى الجديد مهمته الأساسية أن يستوعب الأعداد المتزايدة ، لكن لإضفاء بعض الأهمية على الموقف ، يقولون أن هذا امتداد لنجاح الصحيفة العريقة ، التى تتزايد مبيعاتها باستمرار ..

يقفون أمام المبنى لالتقاط الصور التذكارية ، ثم يدعون فى الدخول إلى المبنى ، يتبعهم فريق التلفزيون الذى وجد فقرة مسلية ليقدمها للمشاهدين ..

لكن كاميرتنا نحن تتوقف فى الخارج ، مما يمنحنا انطباعًا أن شيئًا ما سيحدث الآن ..

شيئًا يستوجب عدم الدخول !!

يختفى الكل فى الداخل ، نسمع صيحات الإنبهار والمزيد من التصفيق ، ونرى انعكاس فلاشات الكاميرات على الزجاج الخارجى ، لكننا نظل نصور هذا كله من الخارج ، وننتظر بترقب الكارثة القادمة لا محالة ..

مشكلة الأفلام التسجيلية أنها بلا مونتاج ، لذا يظل المشهد ثابتًا لفترة ، دون أن يستجد جديد ، مما قد يصيب المشاهد بالملل ، ويدفعه لتغيير القناة ، لكن ..

لكن مزية الأفلام التسجيلية أنها تنقل لنا الأحداث بأمانة ، دون تعديل ..

وحين ينفجر المبنى فجأة بمن فيه ، يبدو الانفجار أمامنا هائلاً مخيفًا ، وألسنة النيران تتلوى فى السماء ، كأنها تودع أرواح من كانوا فى الداخل ، وتتطاير الشظايا حتى يصطدم بعضها بالكاميرا التى اهتزت بشدة مع الانفجار ..

لقد انفجر مبنى اللوموند الجديد ، ويبدأ دوى سيارات الإسعاف فى إضافة المزيد من الدراما إلى المشهد ..

لقد انفجر المبنى .. وانفجرت معه أطنان وأطنان من الفوضى ..

★ ★ ★



كنت مع (فرانسوا) فى هذه الأثناء ، نجوب شوارع باريس فى سيارته ، نبحث عن طرف خيط قد يكون (مجدى) نسيه هنا أو هناك ، ونحن نتابع الهول الذى تتعرض له المدينة ، والمذيعة تهتف فى الراديو :

ـ إنها كارثة .. والضحايا حتى الآن بالعشرات ، على نحو لم تشهده باريس منذ الثورة الفرنسية .. ما الذى يحدث لنا بالضبط ، وكيف انتشرت هذه الفوضى ؟!!

بالطبع لم تكن المذيعة تعرف ، لكننى كنت أجد بصمة (مجدى) فى هذا كله واضحة .. وكان (فرانسوا) يردد بأسى :

ـ لقد فشلنا .. فشلنا ، ونجح (مجدى) فى مخططه ، وبسهولة تامة ..

أجبته بثقة :

ـ مخططه لم ينته بعد .. إنه لم يعلن عن نفسه حتى الآن ..

ـ وما حاجته لهذا ؟! أعماله تعلن عنه بنجاح ..

ـ لكنه لن يقاوم حب الظهور .. لن يقاوم أن يقف بانتصار أمام عدسات الكاميرا ؛ ليعلن عن مسئوليته الكاملة عمّا حدث ، فهذا جزء مهم من نجاح مخططه ..

كنا قد اقتربنا من متحف (أورساى) حيث أخذت سيارات الإسعاف ، فى نقل الضحايا إلى المستشفى أو المشرحة ، بعد أن أدركوا أن الزجاجات التى سقطت لم تكن تحوى سوى ماء عادى بلا أى فيروس ، وأخذ (فرانسوا) يراقب المشهد أمامه بصمت ، وقد بدا عليه أنه مستعد للانفجار فى أية لحظة ، فلم أنطق بحرف ، محاولاً مقاومة مشاعرى ، وتركيز أفكارى على نقطة واحدة ..

أين (مجدى) الآن ؟!!

ها هو قدم عرضه ، ولابد أنه سيسعى للحصول على تصفيق الجماهير .. هذا بديهى ، ويكفى أن تكون رجل شرطة لتدركه ..

إذن أين سيكون الاحتفال الأخير ؟!!

أخذت أفكر فى إجابة هذا السؤال ، معتصرًا كل مخزون ذكرياتى منذ أن استيقظت فى قسم الشرطة فى القاهرة ، وحتى وصلت إلى هذه السيارة التى أجلس فيها الآن ..

الحل يكمن دائمًا فى أصغر النقاط التى تمر على البعض ، دون أن تبدو ذات أهمية ، لكنها تحمل مفتاح اللغز دومًا .. هذا ما علمونا إياه فى كلية الشرطة ..

علمونا أن رجل الشرطة الجيد ، يجب أن يتمتع بقوة الملاحظة والدقة ..

علمونا أنه لا يفقد أعصابه مهما كان الثمن ..

علمونا أنه يزيح مشاعره بعيدًا أثناء العمل ..

وعلمونا أنه يقاتل حتى آخر رمق ..

حاول (فرانسوا) نطق شىء ما ، لكنى استوقفته بإشارة من يدى ، واستغرقت فى التفكير محاولاً البحث عن أتفه التفاصيل ..

وبعد عشر دقائق ، قلت بصرامة لا تقبل النقاش :

ـ فرانسوا .. اتجه إلى المنزل الذى وجدنا فيه (مجدى) ..

ـ ولكن ..

ـ نفذ دون تفكير .. نحن لا نملك الوقت للجدل ..

وهكذا انصاع (فرانسوا) لمطلبى ، واتجه بالسيارة ، يشق طريقه وسط الزحام ، متجهًا إلى ذلك المبنى فى الحى الراقى فى باريس ..

وطوال الطريق إلى هناك ، لم ينطق أحدنا بحرف ، حتى وصلنا ، لأقول أنا :

ـ انتظرنى هنا ..

لم يجادلنى هذه المرة ، واكتفى بأن يهز رأسه بصمت ، فأسرعت أنا إلى الأعلى حيث ، شقة (مجدى) وأنا أدعو الله أنا أجد ما أنا ذاهب للبحث عنه ..

وفى الأعلى استقبلتنى الشقة الخاوية ، كما تركتها بعد لقائى الأخير مع (مجدى) ، فأخذت أبحث بدقة فى أرجاء الشقة ، حتى عثرت ـ حمدًا لله ـ على مبتغاى ..

صحيفة (اللوموند) التى كان (مجدى) يقرأ فيها ، حين دخلت عليه ..

كان (مجدى) يخط عليها بضعة كلمات حين كنا نتحدث ، لكنى لم أكن أعرف ما الذى يخطه ، فلم أجد الوقت لهذا ، لكنى تذكرت وجئت ، ورأيت ..

(عزيزى سامى .. أنا أعرف أنك ستعود لتقرأ هذه الكلمات ، لكن لن تستطيع أن توقف المخطط .. لو أردت لقائى ، اذهب إلى هذا العنوان ، وستجدنى فى انتظارك ، فلدى مفاجأة

أخيرة لأقمها لك .. مجدى) .. ثم قرأت العنوان على الصفحة ، وأنا أكاد لا أصدق نفس .. إنه يرشدنى إلى الطريق إليه ..

إنه فى انتظارى ..

وأنا ذاهب إليه ..

خرجت من الشقة لأعود إلى (فرانسوا) الذى كان يتعذب من اللهفة ، التى خرجت جلية فى صوته وهو يسألنى :

ـ هل عثرت على شىء ؟!

منحته الورقة التى تحمل العنوان فى صمت ، فقرأ هو السطور التى كتبها (مجدى) ، ليهتف بانفعال :

ـ هل ستذهب إليه ؟!

ـ نعم ..

ـ لكنه ينتظرك هذه المرة .. أعنى أن الأمر سيكون خطرًا ..

ـ لنتحرك إذن ، فأنا فى شوق لأضع نهاية لهذا كله ..

ولم يجادلنى (فرانسوا) هذه المرة ، فهو كان يعرف أننى قد اتخذت قرارى ، وأننى سأذهب إلى العنوان على كل حال ، فأدار محرك السيارة ، وبدأ يتحرك بنا وهو يقول :

ـ لن يكون الوصول إلى هناك سهلاً ، مع كل الفوضى التى سببها هذا المجنون ..

ـ لنسرع إذن ..

وأخذنا نشق طريقنا بصعوبة ، متجهين إلى حيث سألقى مصيرى ..

سيكون هذا آخر حدث لهذا اليوم ، لكن ما سيحدث لن يكون مجرد مواجهة بين غريمين .. بل سيكون النهاية ..

★ ★ ★

كان العنوان هو أحد القصور فى منطقة نائية فى الريف الفرنسى ، وكان (فرانسوا) يرمق القصر وهو جالس جوارى ، ويبدو عليه قلق لم أره عليه من قبل ..

(مجدى) الآن فى الداخل .. نحن نعرف هذا ، لكننا لانعرف ما الذى يخبئه لنا هذه المرة ، وهذا يثير توتره إلى أقصى حد ..

بالنسبة لى ، لم أكن أشعر سوى برهبة الموقف مع الكثير والكثير من الغضب ..

على نحو يقينى ، أعرف أننى لو دخلت هذا القصر ، فلن يعود أى شىء كما كان ..

على نحو يقينى ، أعرف أنها نهاية هذه الأحداث ، وهذا فى حد ذاته مريح لدرجة أننى مستعد للموت ذاته ، لو كانت هذه هى النهاية المنتظرة .

قلت باقتضاب من لا يوجد لديه أدنى استعداد للمناقشة :

ـ (فرانسوا) .. غادر المكان ، ولاتعد بمفردك هذه المرة ..

ـ (سامى) .. أكرر أن دخولك بمفردك حماقة لا داعى لها ..

لكنى لم أجبه ، بل غادرت السيارة ، واجتزت بوابة القصر المعدنية لأشق طريقى إلى المدخل ، وقد أخذت أتحسس مسدسى فى جيبى بتوتر ..

وصلت إلى المدخل ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، ثم فتحت البوابة الضخمة ، وليطالعنى المشهد فى الداخل ، ولتتسع عيناى بانبهار ..

ففى الداخل كان المكان أشبه باستديو تسجيل ، بالكاميرات ، ومصابيح الإضاءة الضخمة المعلقة ، وفى مركز البهو طاولة

بيضاء صغيرة ومقعدين ، كأننا فى استديو تصوير أحد برامج اللقاءات السخيفة ، وقد أخذت مجموعة العمل فى التحرك هنا وهناك ، وكلهم يحملون ذلك التعبير الجامد القاسى على وجوههم !!

مجرد إرهاق بسيط فى اليوم التالى !

فى ركن البهو تراصت مجموعة من أجهزة الكمبيوتر أخذ البعض يعملون عليها بهدوء تام ، وقد بدا أن الصمت هو الطابع الغالب على المكان إلا من صوت حركة أحدهم هنا أو هناك ، وقد بدأت أميز أن معظم الوجوه أمامى فرنسية ، وإن لم تخل من بعض الوجوه المصرية ..

(مجدى) لم يضع وقته إذن ، بل كان يعد عدته منذ زمن طويل ، وإن كنت لا أفهم ، كيف أقنع جميع هؤلاء بالخضوع لتجربته فى التنويم المغناطيسى ..

التفسير الوحيد هو أنه لا يعمل وحده كما قال من قبل .. لكن .. ماذا عن موقع التصوير هذا ؟!

ما الذى يستعد لتصويره ؟!

ـ « سامى .. مرحبًا .. لم تتأخر كما توقعت .. »

التفت لأراه متجهًا نحوى هابطًا الدرج ، وهو يبتسم بثقة ، داسًا يديه فى جيب معطفه ، وهو يواصل :

ـ هه .. هل رأيت الحفل فى الخارج ؟!

أخرجت مسدسى رغم علمى أننى عاجز عن استخدامه ، فاتخذ هو مكانه على أحد المقعدين أمام الطاولة ، وهو يقول مشيرًا لى بالجلوس :

ـ سامى .. ألم نخض هذا الموقف من قبل ؟ تعال واجلس ، فالحفل على وشك الانتهاء ..

كان قلبى يخفق بعنف ، وشعورى بالعجز عن إفراغ مسدسى فى رأسه يقتلنى ، إلا أننى قررت مجاراة الموقف إلى نهايته ، لأقول :

ـ أنت قاتل يا (مجدى) .. هذا هو ما نجحت فى إثباته بلا أدنى تقصير ..

ـ هل تدعى الحمق ؟! انظر إلى كم الفوضى الذى أحدثته ، دون أن أضطر إلى تنويم أحد مغناطيسيًا .. الذى حدث اليوم هو نجاح ساحق للمنظمة ..

ـ لكنك لن تخرج من هذا القصر هذه المرة .. فرانسوا سيأتى بنصف شرطة المدينة معه ..

ـ دعه يأتى .. لقد نفذت خطوتى على كل حال ، ولم يعد هناك فارق .. بقى أن نضع خاتمة أنيقة لحفلنا هذا ..

ثم إنه أشار إلى العاملين ، فارتفع هدير كاميرات التصوير ، وبدأ من يعملون على الكمبيوتر ، فى العمل بسرعة أكبر ، بينما (مجدى) يشرح :

ـ ما سيحدث الآن سيتم بثه على الهواء مباشرة إلى جميع المحطات .. الكاميرات تعمل ، وفريق الكمبيوتر يتحكم فى الأقمار الصناعية الآن ، لذا اجلس فلدى ما أخبرك به .. على الهواء مباشرة !!

إنه يمزح !!

إننى لن أستطيع قتله على الهواء مباشرة !!

لكنه كرر بذات الهدوء المستفز :

ـ اجلس يا (سامى) .. أنا أعرف أنك تريد أن تسمع ما سأقوله لك الآن ..

ـ ما أريده هو أن أقتلك ..

ـ ستفعل لو نجحت فى الاختبار التالى .. والآن اجلس ، ولا تخش شيئًا ، فلن تظهر أمام الكاميرا .. وهذا يمنحك الفرصة لقتلى دون أن يراك الملايين .. ألم أقل لك لا تخف ؟؟

تقدمت تجاهه ببطء ، لأتخذ مكانى أمامه على المقعد المواجه له ، ويداى لا تزال تقبض على المسدس ، فاسترخى هو ، ليقول مواجهًا الكاميرات :

ـ حسنًا .. اسمحوا لى أولاً أن أقدم لكم نفسى .. أنا الدكتور (مجدى) .. المسئول الوحيد عن كل الأحداث التى جرت اليوم فى باريس .. نعم .. كل الفوضى التى شاهدتموها اليوم من تخطيطى أنا ، وأعتقد أنكم تريدون لماذا فعلت هذا بالضبط .. ثم إنه أشار إلىّ ، كأنه يقدمنى لجمهور خفى :

ـ اسمحوا لى أولاً .. أعرفكم بصديقى (سامى) .. صحيح أنه غير ظاهر أمامكم ، لكنه ضابط شرطة سابق ، وهو هنا ليقتلنى كما هو واضح ، لكنه قبل أن يفعل هذا ـ لو استطاع فعله ـ سيشاركنى فى هذا اللقاء الأخير بيننا .. بالمناسبة أعرف أن الإرسال سيتم تعقبه ، وأنكم ستحاولون الهجوم على المكان بعد قليل ، لكن الأمر انتهى بالفعل .. وهذا ما ستفهمونه حالاً ..

أشعر كأننى فى حلم عجيب ، وجسدى يرتجف بشدة وأنا أحاول السيطرة على سلاحى لوضع حد لهذا بضغطة زناد ، لكن (مجدى) واصل :

ـ اليوم هو الإعلان الرسمى عن منظمة الفوضى ، وهى

منظمة الواضح أن الهدف الأساسى منها هو نشر الفوضى وتحطيم الأنظمة فى كل مكان .. لماذا ؟ لأنكم كما قال (تشيخوف) من قبل ، تعيشون حياة سيئة مملة ، ولو أدركتم هذا ، لربما سعيتم إلى تغييره ، وإلى أن تفعلوا ، أنا هنا لأقول لكم إنكم تحيون حياة سيئة مملة .. لابد أنكم تتساءلون الآن كيف فعلت ما فعلته .. حسنًا ، لقد أشرت لكم على أول طريق الفوضى ، فاندفعتم أنتم بلا تفكير لتنجزوا لى المهمة ، وإلا كيف ستفسرون ما حدث فى متحف (أورساى) اليوم ؟! زجاجات ماء تسقط وإشاعة صغيرة ، ليبدأ حفل القتل الجماعى .. إحدى سيارات النقود تنفجر ، فيفقد الجميع وقارهم أمام الملايين الملقاة .. إننى أتساءل حقًا إن كنتم وجدتم من يذهب لمبنى اللوموند الجديد .. على كل لقد تأخر الوقت كثيرًا ..

هتفت بعصبية ، وقد نفد صبرى ولم أعد أحتمل :

ـ كف عن هذا الهراء .. أنت مجرد قاتل ، يريد إضفاء مبرر منطقى لكل أفعاله ، لكن الحقيقة تظل أنك مجرد قاتل ..

تجاهلنى (مجدى) تمامًا .. بل أخذ يواصل وقد بدأ ينتشى بالفعل :

ـ ما فعلته اليوم أيها السادة هو أننى أطلقت أنصافكم المظلمة ، ثم تركتكم تقومون بالباقى .. فعلت هذا من قبل بتجارب التنويم المغناطيسى ، لكنى فعلته اليوم دون أن ألجأ إلى شىء سوى حقيقة أننا لسنا متحضرين بالصورة التى نتمناها .. الغلاف الاجتماعى الذى نختبئ خلفه ، كان بالهشاشة الكافية ، لينهار أمام أول اختبار حقيقى ..

ـ اليوم ستتلقى فروع منظمة الفوضى فى جميع أنحاء العالم إشارة البدء ، وما أستطيع أن أعدكم به ، هو أن حياتكم لن تعود كسابق عهدها .. لماذا أكشف نفسى لكم بهذه الصورة إذن ؟! لأنها النهاية .. نهايتى هذه المرة .. فأنا تركت لكم أول الطريق ، لكنى لن أحتمل أن أحيا معكم فى هذا الجحيم الذى تحتملونه كل يوم .. لقد انتهى دورى عند هذا الحد ، ولم أعد أريد أن أواصل .. حتى لو تم القبض علىّ ، فحياتى ستنتهى بعد شهرين على أفضل تقدير .. بعض الأمراض تقتل كما تعرفون .. لذا قررت أن ينضم صديقى (سامى) إلىّ فى هذه اللحظات الحميمة لأعرض عليه وعليكم تأكيدًا فعليًا لنظريتى ..

ـ ما الذى ؟!

ـ (سامى) كان يعمل كرجل شرطة فى القاهرة ، وكان

متزوجًا من حمقاء ، حين أجريت عليه التجربة ، وإليكم ما حدث له .. لقد قتل عائلة كاملة فى قسم الشرطة الذى يعمل فيه ، وطلق زوجته ، ودمرت حياته ، وها هو يجلس أمامى الآن ومسدسه فى يده عاجزًا عن إيذائى .. (سامى) ليس الوحيد ، وهذا يعطيكم فكرة عما ينتظركم فى الأيام القادمة .. اللعبة التى سنلعبها الآن هى التالى ..

كنت أفكر فى إطلاق النار على الكاميرات ونسفها ، لكنى كنت عاجزًا تمامًا عن الحركة .. تلك الإضاءة ، وذلك اللون الأبيض المحيط بى من كل مكان ، يعطيانى إيحاء عجيبًا بأن أصغى دون مقاومة ..

وتابع (مجدى) مهزلته التلفزيونية :

- (سامى) أنا أعرف أنك عاجز عن قتلى ، لكنك إن لم تفعل سيقوم رجالى ببث إشارات تفجير لقنابل مزروعة فى أهم وأشهر المبانى فى فرنسا ، وسيعرف المشاهدون معى المغنى الحقيقى لكلمة فوضى ، ولو نجحت فى قتلى سيرى العالم كله النصف المظلم الذى كنت أتحدث عنه ، وإضافة إلى هذا سيشعل جهاز تفجير خاص سيمنحك عشرون ثانية فحسب لمغادرة القصر ، قبل أن يطيح بكل من فيه ، أى أنك ستكون السبب فى موت جميع الموجودين هنا ، وستكون الشرطة

التى جاءت فى انتظارك أنت .. الخيار لك يا عزيزى وأمامك دقيقة واحدة للاختبار ؛ لذا أرجو من المشاهدين فى المنازل ، أن يحضروا ساعاتهم ..

وأخيرًا صمت (مجدى) واسترخى فى مقعده ، وأنا أحدق فيه فى ذهول جارف ، وعقارب الساعة تتسابق لإتمام هذه الدقيقة المتبقية ..

لو قتلته سأموت مع من هم هنا ، ولو لم أفعل سيموت كل من هم فى المبانى التى زرع فيها (مجدى) قنابله ..

لو قتلته سأثبت صحة نظريته للعالم أجمع ، ولو لم أفعل سأثبت نجاحه للعالم أجمع ..

دقيقة واحدة أمامى على الهواء مباشرة لأتخذ قرارى ، مع علمى بأننى عاجز عن قتله حتى لو قررت هذا ..

تحدث (مجدى) محاولاً تشجيعى :

- هيا يا (سامى) .. أنت لست بهذا الضعف الذى تظنه .. لقد كنت أفضل من أجريت عليهم التجربة ..

الخيار أمامى محسوم ..

سأقتل الوغد ، حتى لو مت أنا ومن هنا معه .. ستكون هذه خسارة أقل على كل حال !

ـ (سامى) حاول أن تركز .. أن تستعيد سيطرتك على عقلك .. دع نصفك المظلم المتحكم .. اسمح لمستر (هايد) بالعودة وهو سيتولى الأمر كله نيابة عنك ..

لكن .. حتى لو قتلته .. من أدرانى أنه لن يفجر هذه المبانى على كل حال ؟! لقد وضع خطته بالفعل ، ورجاله سينفذونها حتى بعد موته ..

ـ تذكر الحياة المحترمة التى كنت تحظى بها كرجل شرطة ، وكيف انتزعتها أنا منك ، لأحرمك من اسمك ..

ولو لم أفعل .. الشرطة ستأتى ، لتحاول إلقاء القبض عليه .. لكنه لن يقبل أن يموت فى السجن بمرضه هذا الذى تحدث عنه ..

سيتصرف كما يعرف كل من هم فى موقفه ، وسيهدم المعبد على رءوس الجميع ..

لهذا أتى بى إلى هنا ..

لأمنحه نهاية أنيقة لحفله البغيض ..

ـ تذكر مشهد ضحاياك .. تذكر كيف قتلت صديقك (على) .. تذكر واسمح لـ (هايد) بالخروج ..

الوقت يمر ، والثوانى توشك على النفاد ، ولابد أن المشاهدين فى المنازل الآن ، يتساءلون كيف ستنتهى هذه الفقرة الأكثر إمتاعًا فى التاريخ !!

ربما لو أمكننى تحطيم أجهزة الكمبيوتر .. لكن هل سيدعنى أفعلها ، أم ؟!!

ـ تذكرها .. تذكر (مايا) .. لقد كانت تحبك منذ أن كنت تحت تأثير التجربة ..

هنا فقدت تركيزى تمامًا ، فابتسم هو ليردف :

ـ أتعرف ؟ لقد كانت نموذجًا فريدًا من نوعه ، خسارة أننى قتلتها فى المستشفى و ...

ـ مستشفى ؟!!!

ـ ألم يخبروك ؟! (مايا) لم تلق مصرعها فى تلك الليلة مثلك ، ولقد نقلوها إلى أحد المستشفيات ، والواقع أنها كانت تملك فرصة طيبة للنجاة ، لكنى لم أكن لأخاطر بأن تخبر أحدًا ما تعرفه .. لذا دع خيالك يحكى الباقى .. أنا

أتسلل إلى المستشفى .. حقنة هواء .. وفاة تضع حدًا لحياة هذه المسكينة .. لقد كنـ ..

لكنه لم يكمل عبارته هذه أبدًا ..

لم يستطع ..

كل ما فعله هو أنه حدق فى الثقب الذى نبت فى صدره مكان القلب ، والذى بدأت الدماء فى السقوط منه ، ثم فى الأدخنة التى تصاعدت من فوهة مسدسى ؛ ليبتسم مرة أخيرة ، وهو يهمس :

ـ لقد نجحت !

ثم تهاوى رأسه على صدره أمام الكاميرا ، ثم سقط من على المقعد مطلقًا حشرجة أخيرة ..

لقد خرس (مجدى) ..

لقد خرس (مجدى) ..

لقد خرس (مجدى) .. ثم عاد مستر (هايد) فى أعماقى لسباته الطويل ، مجددًا ..

كانت بركة الدماء التى تتكون أسفل جثته ، إلا أننى أطلقت رصاصة على الكاميرا التى تصور المشهد ، واتجهت إلى جثة

صديق العمر لأنحنى عليها ، كأننى أريد أن أتأكد من أنها النهاية بحق ..

قاعة بيضاء والضوء يغمرنا من كل اتجاه ، وأنا أنحنى على جثة (مجدى) ..

الآن أنا أفهم سر ذلك الحلم العجيب .. ترى ؟! أهو أحد قدراتى المنتظرة ؟!!

لكن الصوت الآلى تصاعد من أحد الأجهزة :

ـ التفجير الذاتى بعد عشرين ثانية ..

ثم بدأ العد التنازلى ، وقد بدأ دوى سيارات الشرطة يأتى من بعيد ، وقد جاءوا ـ متأخرين ـ كالعادة ..

يجب أن أخرج من هنا .. فلم يعد هناك ما يمكننى أن أفعله هنا ..

مستر (هايد) اتخذ قراره الأخير ، وهاهى جثة (مجدى) تعلن عن نجاح وفشل كلينا ..

يجب أن أخرج الآن وأنا أعرف ـ آسفًا ـ أننى لن أستطيع إنقاذ أحد هنا .. لكنى آمل أن أكون قد أوقفت المهزلة التى كانت ستحدث لو فجر (مجدى) هذه المبانى التى تحدث عنها ..

أسرعت متجهًا إلى المدخل ، وقد شارف العد التنازلى على نهايته ، ثم خرجت إلى الحديقة الأمامية ، وأنا أجاهد للسيطرة على نفسى مجددًا ..

لقد قتلت (مجدى) .. فعلتها أخيرًا ..

أنقذت البعض ، لكنى ضحيت بحياة كل من فى الداخل ..

أنا كنت أملك الخيار ، ولقد اتخذته بالنيابة عنهم ..

والآن هم يتحركون الآن فى الداخل ، يحملون ذلك التعبير الجامد على وجوههم ، دون أن يؤثر فيهم ذلك العد التنازلى على الإطلاق ..

لا .. يجب أن أعود !!!!

لو كان هؤلاء المساكين سيلقون مصرعهم بسببى ، إذن يجب أن أكون معهم ..

لقد انتهت مهمتى على كل حال ..

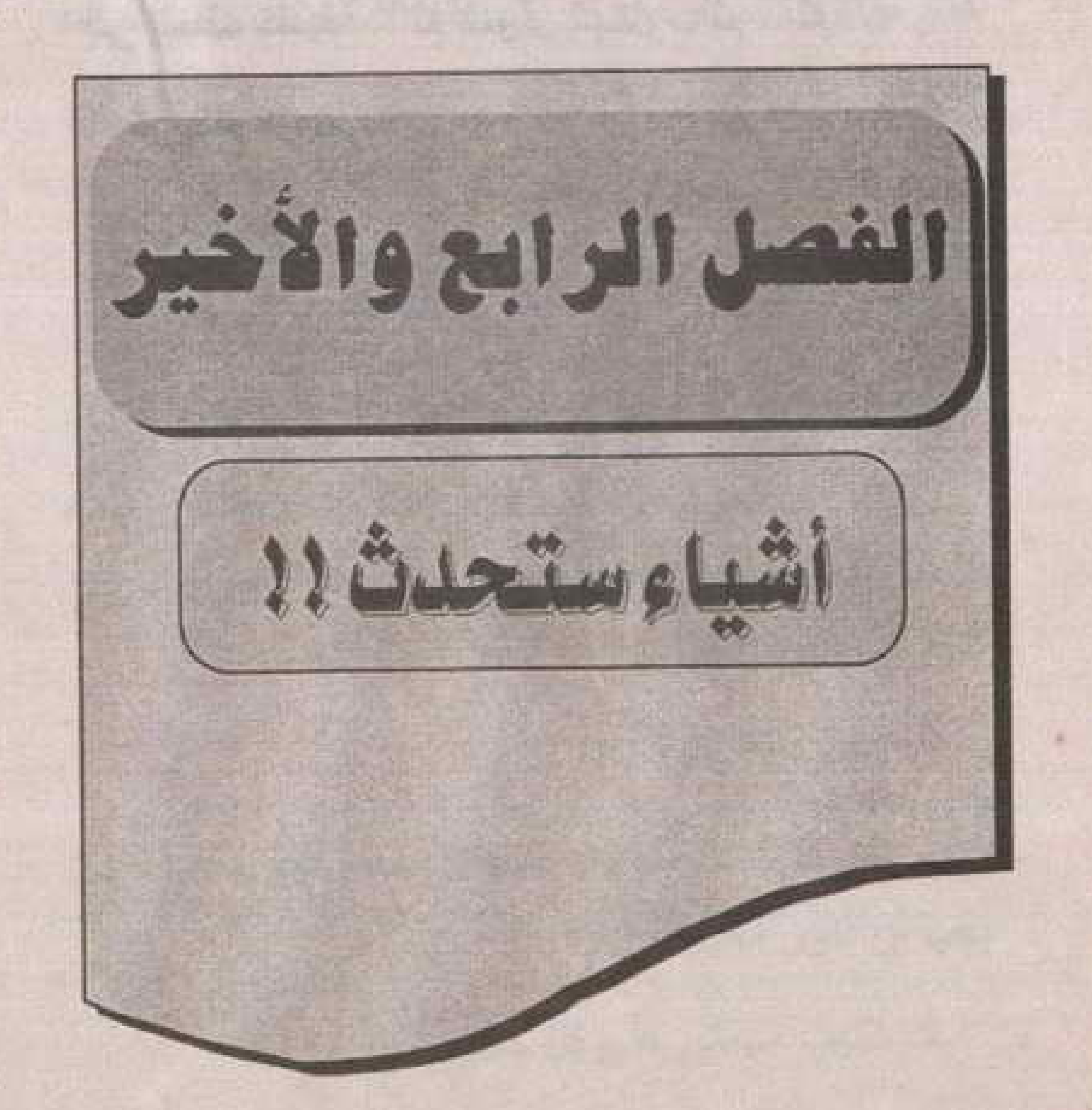
وهكذا استدرت مزمعًا العودة إلى القصر ، ودوى سيارات الشرطة يقترب أكثر فأكثر ، لكنى لم أكد أقترب من المدخل ، حتى دوى الانفجار ..

قنبلة من الضوء تنفجر فى وجهى .. ثم جسدى يطير إلى الخلف كقذيفة .. ثم الدوى الهائل .. ثم .. ثم ..

ثم يظلم كل شىء ..

إنها النهاية !

* * *



١٤

حين استيقظت ، طالعنى وجه السيد (صلاح) ، وهو ينظر إلىّ بإشفاق ..

كنت أستلقى على فراش مريح ، فى مستشفى كما هو واضح ، وكنت أشعر بأننى عاجز حتى عن تحريك عينى ..

بأبوية صادقة ، ربت السيد (صلاح) على رأسى ، قائلاً :

ـ لقد نجوت مرة أخرى يا عزيزى ..

جاهدت أنا ليتحرك لسانى أخيرًا فقلت :

ـ (مجدى) ..

ـ لقد عثروا على جثته .. لقد انتهت مهمتك عند هذا الحد ..

(مجدى) مات إذن .. الكابوس انتهى .. رحل بلا عودة ..

كنت أشعر بإرهاق لا حد له ، بينما قال السيد (صلاح) :

ـ أنا لا أصدق كيف فعلت الذى فعلته ، ولا كيف نجوت من هذا كله ، لكن المهم أنك على قيد الحياة .. والأهم أنك لم تعد مضطرًا ، للعودة إلى الماضى أبدًا .. أبدًا ..

بدا لى قوله هذا غامضًا ، إلا أننى كنت أغيب عن الوعى ببطء ، ولم ألبث أن استسلمت لنوم عميق ، أخذت أحلم فيه ..

لم يكن ذلك الحلم المعتاد عن القاعة والجثة والرجل الذى ينحنى عليها ، بل كنت أحلم بها هذه المرة ..

بـ (مايا) ..

كنت أراها تنظر إلى ..

وتبتسم ..

* * *

بالطبع لم يمر هذا اليوم على فرنسا مرّ الكرام ، ولقد قدر عدد ضحايا أحداث الفوضى التى حدثت بالعشرات ..

صحيح أن معظم التهم وجهت لـ (مجدى) ومنظمته ، لكن الحقيقة كانت مذكورة واضحة فى أعين الجميع ..

(مجدى) لم يفعل شيئاً سوى أنه منحهم شرارة الانطلاق .. وكل العنف الذى نتج بعد ذلك كان من أعماقنا نحن ..

كانت هناك تحقيقات طويلة ، والكثير من الاتهامات ، والكثير من الجثث ، لكن الكابوس انتهى أخيرًا ..

وببطء واثق ، بدأت مدينة النور والجمال ، تستعيد ثقتها بنفسها ، وبدأت الحياة تعود إلى سابق عهدها ، وقد تحول

يوم الفوضى الذى صنعه (مجدى) إلى ذكرى مؤلمة ، لن تمحى من ذاكرة من عايشوها بسهولة ..

ففى هذا اليوم رأى الناس مدى القبح الذى يخفونه فى أعماقهم ..

فى هذا اليوم ، تكشفت حقائق يعرفها الجميع لكنهم يتجنبون التحدث عنها بأى صورة من الصور ..

صحيح أن متحف (أورساى) دمر تقريبًا ، لكن الإصلاحات الحديثة ، قادرة على فعل المعجزات ..

صحيح أن ملايين الفرنكات اختفت ، لكن التأمينات ، والمخزون الاحتياطى ، ومعادلة الأسعار ، ستغطى الخسارة ..

صحيح أن الكثيرين قد ماتو فى انفجار مبنى اللومند الجديد .. لكنهم وكما قال (مجدى) .. مجرد خسائر معقولة لينجح المخطط .. لكن هذه المرة لا يوجد مخطط ، بل توجد (أكداس) من الأوراق التى يجب ملؤها ، و(أكداس) من الحقائق التى يجب دفنها ..

لكن ورغم هذا كله ، كانت باريس تعود إلى سابق عهدها ..

ثمة سحر تمتلكه بعض المدن كالإسكندرية وباريس ، وهذا السحر الخفى لا يمكن أن يختفى بسهولة ..

لا يمكن أبدًا ..

* * *

لم ينج (فرانسوا) من عقاب (مجدى) له رغم كل شىء ..

فصحيح أن (مجدى) مات إلى أنه كان قد أرسل طردًا ضخمًا ، إلى مقر صحيفة اللوموند الرئيسى ..

بالطبع تم استدعاء خبراء المتفجرات للتأكد من أن الطرد لا يحتوى على هدية أخيرة ، من (مجدى) ، لكنهم لم يجدوا أى قنبلة ، فقرروا فتح الطرد ..

وكان ما عثروا عليه فى الداخل أسوأ من أى قنبلة ، وأعلى دويًا ..

جميع ملفات العمليات القذرة التى تقوم بها المخابرات الفرنسية ، وقوائم طويلة بأسماء الفاسدين ، والجواسيس داخل فرنسا وخارجها ، وبالمبالغ التى يتم سرقتها سنويًا من ميزانية الحكومة ..

كل هذا مرفق معه صور للكونت (فرانسوا) وهو يجلس مع (مجدى) ، على مائدة ، تحمل على سطحها رزمة من الملفات ، وهكذا أصبحت إدانة الكونت (فرنسوا) حتمية ..

صحيح أنه اختفى بلا أثر ، لكن فرنسا كلها تسعى خلفه الآن ..

وصحيح أن صحيفة اللوموند قد خسرت المقر الجديد لها ، لكنها حظيت بسبق ، لن يتكرر فى تاريخها مرتين ..

لقد ترك (مجدى) لهم هديته الأخيرة ..

لقد كان يقول دومًا إن صحيفة اللوموند هى الأفضل على مستوى العالم ، و (جين) ظنت أنه كان يقول هذا لإبهارها ..

(جين مونتان) ..

أنا مدين لهذه المرأة بشىء ما ..

* * *

اليوم طلقت زوجتى التى لا أعرف أى شىء عنها ..

يبدو الأمر ساخرًا ، لكن هذه هى حياتى أيها السادة ..

سلسلة من الأحداث الساخرة الرهيبة .. ذهبت معها إلى مكتب المحامى الذى اختارته ، ولم تستغرق الأوراق منا وقتًا طويلاً كما كنت أتمنى ..

وحين حصلت على حريتها أخيرًا ، قالت (جين) لى :

ـ لو أردت أن تزورنى فى أحد الأوقات .. أعنى كصديق ..

إلا أننى أجبتها ببرود قاس :

لقد كان الأمر كله صفقة ، ولقد انتهت بالفعل ..

ثم تركتها دون أن أشعر بذرة ندم ..

اليوم طلقت زوجتى التى لم ولن أعرفها ..

لكم هذا مريح .. لكم هذا جميل !

★ ★ ★



لكن الأمور لم تنته عند هذا الحد ..

فحين عدت للسفارة أخيرًا ، طلبنى السيد (صلاح) إلى مكتبه ، فاتجهت إليه على الفور ، وأنا أعد نفسى ، لجلسة استجاوبات طويلة ..

لكنى ما إن دخلت عليه ، حتى أشار إلىّ بالجلوس ، وهو يتكلم بلهجة رصينة مهذبة ، أدركت معها أن كارثة توشك على الحدوث :

ـ اجلس يا (سامى) فأنا أريد التحدث إليك قليلاً ..

جلست أمامه ، وقد قررت أن ألوذ بالصمت ، حتى يلقى بما لديه ، فتابع هو :

ـ أعرف أنك عانيت الكثير طيلة الفترة الماضية ، لكن بتخلصك من (مجدى) ، أعتقد أن عبئًا ثقيلًا قد انزاح من على كاهلك .. المشكلة الآن هى أنك جئت إلى هنا بهوية جديدة ، وتحت اسم (أكرم رشوان) ، لكن هذه الهوية نسفت بعد ما حدث ، ولم يعد بمقدورك العودة إليها ..

وصمت قليلاً ، كأنما يزن ما سيقوله ، قبل أن يتابع :

ـ أنت متفق معى على أن هويتك القديمة كـ (سامى) لم يعد لها وجود ، وحتى لو عدنا إلى القاهرة بهذه الهوية ، لن تواجه سوى المتاعب ، والآن أنت تسببت فى القضاء على هويتك الجديدة .. أى أنك الآن ـ رسميًا ـ بلا هوية ..

هاهو صوت طبول القلق يتعالى داخل رأسى ، لكنى سأصمت حتى ينتهى !

ـ الوضع الآن أن أمامك خيار من اثنين .. إما أن نمنحك هوية جديدة وعملاً جديدًا فى مكان جديد ، وإما أن تعمل كمجهول ..

هنا لم أملك نفسى من أن أردد خلفه :

ـ مجهول ؟!!

ـ نعم .. لن يتم صنع أى هوية لك إلا عند الضرورة ، ستكون الهوية مختلفة كل مرة وفقًا للظروف التى ستخضع لها ، وسيكون عملك هو التدخل فيما نحتاج إليك فيه لتنهيه ، دون أن تترك أى أثر خلفك أو أن يعرف بك أحد ..

ـ هل .. هل سأعمل مع المخابرات ؟!

ـ مع قسم خاص فى المخابرات .. لكنك ستظل على اتصال معى ..

ـ هل لى أن تشرح الموقف أكثر ؟

ـ (سامى) .. لو وافقت على الاقتراح الثانى ، ستعمل كمجهول .. كظل لا يراه أحد ولا يشعر به مخلوق .. المهمات التى ستنفذها ستتنوع كل مرة .. القدرات التى تمتلكها ، سواء التى اكتشفتها أو التى لم تكتشفها بعد ، قد تكون مصدر عون هائل لنا ، لكن لا يوجد ما يجبرك على الاقتراح الثانى .. لو أردت ، ستحصل على هوية جديدة ثابتة وعمل جديد من الغد ..

كنت أشعر بالحيرة أمام ما سمعته ، فلم أملك إلا أن أقول :

ـ أعتقد أننى سأحتاج بعض الوقت للتفكير ..

ـ أمامك حتى الغد .. بعدها أبلغنى بقرارك ، وسأدعمك أيًا كان ..

ـ سأفعل ..

ثم غادرت غرفته ، والأفكار تدور فى رأسى المنهك ..

هذه المرة أنا أملك الخيار ..

هذه المرة أنا أملك الخيار !!

* * *

بالطبع اتخذت قرارى ، ولست أعرف إن كنت قد أصبت أو أخطأت ..

أنا الآن أعمل كمجهول .. أعيش كمجهول .. أتواجد كمجهول ..

أنا الآن لا وجود لى إلا فى ذاكرة أقل القليل ، وعلىَّ فى الفترة القادمة أن أعتاد هذا النمط الجديد ـ والعجيب ـ من الحياة ..

لا أحد يعرفنى ، ولا يشعر بى مخلوق ..

لماذا اخترت هذا الاختيار ؟!

لأننى تفوقت على من لا يوجد لديهم شىء يخسرونه ، فأنا لم يعد لى شىء أملكه !!

أنا الآن بلا شىء على الإطلاق .. أى شىء .. حتى هوية لأعيش بها ..

ثمة أشياء سيكون علىَّ تعلمها الفترة القادمة ..

فالمرحلة الجديدة من حياتى لها متطلبات خاصة ، وإمكانيات خاصة ..

المرحلة القادمة من حياتى تعتمد على ألا أتواجد إلا على هذه الأوراق التى أخطها الآن ، لتكون الشاهد الوحيد على قصتى ..

هذه الأوراق التى لا تحمل سوى عنوان عجيب كئيب ..

(أوراق مجهول) ..

* * *

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!





د . تامر إبراهيم

قصتنا هذه المرة أيها السادة ، قصة فرنسية ..

كالعادة يوجد كم لا بأس به من المتاحف والحدائق الفرنسية الغنَّاء ، والأحداث اللاهثة لإيقاف مخطط ما ، وفرنسية حسناء ، تحمل مفاجأة لا بأس بها ، وكونت عجوز ، وأنا أدور بين هذا كله بلا توقف ، في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

قصتنا غريبة هذه المرة أيها السادة ، لكنها تستحق ..

لأنها قصة فرنسية ..

الثمن في مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مطابع

